الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٣٥ — ٣ فبراير سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 135. | Lundi 3-2-1936

بدل الاشتراك عن سنة

ص

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٣٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ ذو القعدة سنة ١٣٥٤ — ٣ فبراير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة

١٦١ محمـــد ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...

١٦٣ كلمة وكليمة ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى

١٦٤ السياحة فى مصر ... ... : بقلم سائح ... ...

١٦٧ رفعة المرأة ... ... : الأستاذ محمد بك كرد على ...

١٦٩ قصة المكروب ... ... : الدكتور أحمد زكى ... ...

١٧٢ أطفال دمشق ... ... : الأستاذ « م » ... ...

١٧٣ علم غير مفيد ... ... : الأستاذ قدرى حافظ طوقان ...

١٧٥ بيوولف .... : الأستاذ حسن عبد الحكيم اليمانى

١٧٨ مكانة مصر فى الغرب العربى : الأستاذ محمد السعيد الزاهرى

١٨١ من ربوع الغرب إلى بلاد العرب : الدكتور عبد الكريم جرمانوس

١٨٣ سكان أعالى النيل ... ... : رشوان أحمد صادق ... ...

١٨٦ سليل الفرد (قصيدة) : الأستاذ جميل صدقى الزهاوى

١٨٦ البعث ... ... » : الأستاذ على أحمد باكثير ...

١٨٧ الحرمات ... » : محمود حسن اسماعيل ... ...

١٨٧ نسيم الفجر ... » : ترجمة وهيب رشيد ... ...

١٨٨ تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا : الأستاذ خليل هنداوى ... ...

١٩٠ الآباء البيض (قصة) : حبيب الزحلاوى ... ...

١٩٥ التعصب اللغوى بعد التعصب الجنسى ... ...

كتاب عن ضحايا الثورة الفرنسية ... ...

١٩٦ مشروع على جليل . تجربة لاختبار الذكاء . آثار العمالقة

١٩٧ أثر خطى نفيس . وفاة مؤلف موسيقى . جوائز أدبية نمسوية

١٩٨ كتاب اللآلى شرح أمالى القالى : الأستاذ أحمد أمين ... ...

« محمـــد »

لتوفيـــق الحكيم

وهـذا كتاب آخر ، قد نسـقه فن آخر ، ليُعين رواجح الأحلام على اجتلاء شخصية سمت ببطولتها عن البيان ، واكتناه سيرة جلت بقداستها عن الفهم . وشخصية الرسول الكريم وسـيرته أصبحتا اليوم فى الشرق والغرب موضوع الدرس المفصل ، وموضع التحليل العميق . وأنى للبصر المحدود أن يدرك مالا يحد ؟ وللبصيرة المتناهية أن تبلغ مالا يتناهى ؟ !

***

حاول هيكل تعريف هـذا الاشراق الإلهى من طريق العقل فاتخذ الدليل ، وحاول طه حسين أن يصوره من طريق القلب فاصطنع الأسطورة ، وحاول توفيق الحكيم أن يمثله من طريق الغريزة فاستعمل الحوار ؛ والحوار ولاشك غريزة الحياة وأسلوب المجتمع ، تجرى به الحوادث ، وتتنقل عليه الأحاديث ، وتتردد فيه المآرب ، وتوشك لغة الخطاب لا تعرف من ضروب الكلام غيره . هو لسان الوجود اليومى ، يترجم عن رغائب النفس فى غير كلفة ، وينقل عن سوانح الذهن من غير إجالة ، وينم

٧ - كلمة وكليمة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

ليس فى الشرف كأداء الواجب بشرف

الوعدُ السياسىُّ جرىءٌ فى الكذب ، جرىءٌ فى الاعتذار ، حتى إنه ليَعِدُ باحضار القمر حين يستغنى عنه الليلُ فى آخر الشهر ... فاذا لم يجيئوا به قالوا : سيتركه الليل فى الشهر القادم ..

الزمن ضعيفٌ فى نُصْرة الضعيف ؛ فاذا قالت دولة أوربية لدولة شرقية : سأدَعُكِ فى سنة (كذا) ، فمعناها فى سنة (دائماً) التى لا أعرفها لا أنا ولا أنت ولا الزمن ...

كما تضربُ السياسة بقنابل حشوها البارود والرصاص ؛ تضربُ بقنابل حشوها المطامع والمناصب ....

لا يجىءُ الاتحادُ القوىُّ من وحدة الأحزاب المختلفة ، ولكن من وحدة الحالة الواحدة فى الأحزاب المختلفة

للسياسة أحياناً أسلوب كأسلوب المرأة ذات المشاق ؛ إذا وافق بعضهم بعضاً على النكاية بها ، فرّقتْ بين حظوظهم منها ، فما أسرع ما يختلفون

قال ذئبٌ سياسىٌّ لخروف سياسى : أريد الاتفاق معك (حالاً) . فقال الخروف : ويلك ! إذا كنت أنت ذئباً للحمى ، فهل تكونُ (حالا) هذه إلا ذئباً آخر لعمرى ؟

لم يضيّع الشرقيين ضعفُ القوة أكثرَ مما ضيّعهم ضعفُ البصيرة

تالله ما أذلَّ الشرقَ إلا هذا التصوفُ ، وتالله ما يُعزُّ الشرق إلا هذا التصوف بعينه ، إذا انتقل عن رجاله إلى رجال المال والحكم والسياسة

كنتُ مرة فى ضيافة رجل من أهل القرى مع أحد علماء الفقه ، وذهبنا مع القرَوىّ إلى أرضه وفيها نخلة متهافتة ليس أهون منها على صاحبها . فقال له الفقيه : أحب أن تهب لى هذه النخلة فى مغرِسها بحدودها الأربعة . قال قد وهبتها لك . قال الفقيه بحدودها الأربعة ؟ قال الرجل الطيب : نعم .

فقال له الفقيه : الآن وهبت لى أرضك كلها وخرجت منها شرعاً ... فهذا فضاءٌ ولا حدود للنخلة إلا آخر ما تملك منه فى الجهات الأربع . هكذا يملك دهاةُ الفقه السياسى البلاد المريضة إذا ملكوا ولو نخلة فيها ، غير أنهم يسمون حدود النخلة « تحفظات » النخلة ...

يكاد يقال اليوم إذا عُدّت العناصرُ الأرضية : إنها النارُ والماء والهواء والتراب والأسطول الانجليزى ...

كل ما استمتعتَ به على الحبيب الملولِ ، أعان الملل فى نفسه

لا تعاتب حبيبك الذى ملّ ، فاذا مرض الحب مات العتاب

أكثر صبر المشاق من قلة الحيلة ...

كذبُ الحبيب كذبٌ مرٌّ ، لأنه خرج من الفم الحلو

جمالُ التواضع فى الصديق أن يستمرَّ دائماً فى شكل تواضع ، وجمالُ الخضوع فى الحبيب ألاّ يستمرَّ دائماً فى شكل خضوع

تنظر المرأةُ بقلبها إلى أشياء لا تراها بعينها

احترس فى المداوة مما تبدأ به العداوة ؛ واحترس فى الحب مما ينتهى به الحب

لا تنسى الاساءة امرأة لأنها قليلاً ما تذكر الحسنة

كيف تتحرر المرأةُ إذا كان حكم الطبيعة أن أفضل ما تحرر به نفسها أن تجد من تقيد به نفسها ؟

يا ويل المرأة من قلبها حين يكون محروما ! ياويل المرأة من قلبها حين يكون فيها كالمنفى فى غربة !

أبت الدنيا أن تفسّر كل عجيبة إلا بما هو أعجب منها . وهذه هى العجيبة

لو كانت اللذة فى اللذة نفسها لما شقى أحد ، ولتيسرت لكل الناس كما تيسرت لكل البهائم ؛ ولكن أكثر اللذات لا يلذ إلا فى التركيب الوهمى الذى أكثره فى الخيال وأقله فى الواقع

ما دامت أخلاق البهائم فى الناس ، فصلاحُ الانسانية سيبقى دائماً فى هذه المعانى الثلاثة : الراعى ، والحبل ، والعصا ...

من لؤم الكذب وشرِّه أنك لو صدقتَ بكلمتين وكذبت بثالثة ، كنتَ كأنك صدقت باثنتين وكذبت بثلاث

كيف تصلح الدنيا وفى كل أرض يعمل على عكس قوانينها — قانونُ الجوّ وقانونُ الأرض ؟

شقاءُ العبقرىّ من نفسه ؛ فان ظلَّ يعمل تعبتْ به ، وإن ترك العمل تعب بها

أين الحقيقةُ الكاملةُ من العقل الانسانى ونحن نرى كلَّ عقل لا يُعْطَى منها إلا قدرَ ما يسعُ منها ؟

أسكتْ عن السفيه فان ذلك إلاَّ يجعلْه كريماً مثلك لا يجعلك لئيما مثلَه

قيل لمغرور متكبّر يُخَنْخِنُ فى خَيَاشيمه [1] إذا تكلم : لماذا تتكلم من أنفك ؟ قال . لأنى لا أجد فى العالم من أكلمه بملء فمى . . . . . .

لو رد العالم على هذا المغرور لقال له : كلُّ الحمير تنهق بملء أفواهها إلا أنت . . . . .

إذا صغرت النفس من لؤم صاحبها ، كبرت بلسان صاحبها

الصورة الثانيةُ للرجل المضحك جداً ، هى أن يظهر نفسَه عظيماً جداً

(طنطا)

---

(١) يخرج الكلام من أنفه أخن فلا يبين فيه

إلى الآنسة ا . م كيف أصرح « بما هو غامض » وأنت تكتمن « ما هو غامض ؟ » . . . . إن كنت قرأت (المشكلة) سبع مرات كما قلت ، فدعينا نخرج من مشكلتك أنت ما يقرأ أكثر من سبع مرات الرافعى

السياحة فى مصر

ومتى تغدو موردا قوميا ؟

بقلم سائح

مصر بلد الآثار الباقية والذكريات الخالدة ؛ آثارها وذكرياتها ترجع إلى أقدم عصور الخليقة ، وتراثها الأثرى والفنى منوع فى عظمته ، ممتد على كر العصور والدنيات ؛ فمنذ عصر الفراعنة ، حيث يغيض التاريخ فى ظلمات المجهول ، ومنذ الحضارة المصرية اليونانية ، والحضارة المصرية الرومانية ، إلى الحضارة المصرية الاسلامية ، تتكدس الآثار والذكريات الخالدة فى أرض مصر صنوفاً متعاقبة ، حتى غدا تراث مصر الأثرى والفنى فى روعته وفى عراقته وتباين أعصره وصنوفه ، أغنى وأثمن ما عرف من بقايا الحضارات الذاهبة القديمة والوسطى

وقد كان حرياً ببلد كمصر يتمتع بمثل هذا التراث الأثرى الباهر إلى جانب ما يتمتع به أثناء الشتاء من طبيعة ساحرة وشمس وضاءة ودفء لذيذ ، أن يغدو كعبة حقيقية للسياحة والسياح من سائر أنحاء الأرض ، وأن يجعل من السياحة مورداً قومياً لا بأس به ، وأن يستغل هذا المورد بوسائل وأساليب جذابة مجدية ، وأن يسيطر على مرافقه ونواحيه بطرق عملية شاملة ، وألا يدخر وسعاً فى الحرص عليه كمورد قومى ثابت ، أو فى السعى إلى تنميته بجميع الوسائل والنظم

ولقد غدت السياحة فى كثير من البلاد مورداً قومياً للكسب ، وأضحت وسائل استغلاله وتنميته فى بلاد كثيرة لا تتمتع بمثل تراثنا الأثرى ، ولا مثل جونا الساحر ، صناعة حقيقية ؛ ولكن مصر ما زالت فى المؤخرة من حيث دراسة هذه الصناعة المحدثة وفهمها والانتفاع بوسائلها . نعم إن فى مصر موسماً للسياحة ، وما زالت مقصد ألوف من السياح من مختلف البلاد فى كل شتاء ، ولكن هذا الموسم لا يقوم على أسس ثابتة ، بل يترك أمره للظروف والمصادفات الخارجية ، وتكاد مصر تقف منه موقفاً سلبياً محضاً ؛ فاذا كان الموسم حسناً

مزدهراً ، فان ذلك يرجع عادة إلى ظروف خارجية لا دخل لمصر فيها ، وإذا كان الموسم سيئاً مجدباً ، كما هو الشأن منذ أعوام ، فان مصر لا تبذل من جانبها أية جهود عملية مجدية لاجتذاب السياح ، والعمل على مقاومة العوامل والأسباب التي يمكن أن يرجع اليها مثل هذا الكساد

على أن موسم السياحة المصرى ليس فى الواقع مصرياً إلا بالاسم ، ومن الظلم أن يحسب على مصر بصورته الحالية ، فليست مصر أو الهيئات المصرية هى التى تجنى ثماره ، وتستغل موارده بقدر ما يجنيها ويستثمرها الأجانب والهيئات الأجنبية ؛ ذلك أن كل ما تجنيه مصر من هذا الموسم يكاد ينحصر فى أجور السكك الحديدية ورسوم المتاحف والآثار وأجور التراجمة وأثمان بعض السلع والمنتوجات القليلة التى تعرض للبيع أثناء الموسم ، وهذا كله قليل بالنسبة إلى ما تجنيه الوكالات والفنادق والمتاجر الأجنبية من الأرباح الطائلة ؛ وهكذا يستغل موسم السياحة المصرى باسم مصر ، ومصر تقنع منه بالفتات الضئيل

وهذه حقيقة مؤلمة ؛ بيد أن أشد ما يؤلم فيها هو أن هذا الغبن الفادح الذى يلحق مصر فى مورد من مواردها المشروعة ترجع التبعة فيه إلى مصر ذاتها ، وإلى ما تبديه هيئاتنا الرسمية وغير الرسمية من قصور وتقصير فى تنظيم الدعاية لمصر فى الخارج ، وفى تنظيم شؤون السياحة الداخلية بوسائل مجدية وطرق جذابة ، وفى توفير أسباب اليسر والراحة للسائحين ؛ ومن الحقائق المعروفة فى أوساط السياحة الخارجية أن نفقات السياحة فى مصر تصل إلى حدود مرهقة ، ولا يكاد يتحملها سوى كبار الأغنياء والموسرين ، وأن السياح المتوسطى الحال يقاسون فيها من فداحة الأجور وعدم توفر أسباب الراحة ؛ وهذه الحقيقة وحدها تبعد عن مصر عشرات الألوف من السياح الذين تسرهم زيارتها لو توفرت فيها أسباب الاقامة المعتدلة ، كما هو الشأن فى معظم مراكز السياحة فى أنحاء العالم

ولنبدأ بمسألة الدعاية ، فنقول إن مصر ما زالت متأخرة فى هذا الميدان بصورة يرثى لها ؛ وما تنفقه مصر فى هذا السبيل من الألوف العديدة يذهب هباء ؛ إذ يغدق معظمه على بعض الصحف الأجنبية التى لا تفيد فى الدعاية الحقيقية ؛ والدعوة المنظمة هى روح السياحة الحديثة ، ومصر مشهورة فى الخارج بتراثها الفنى ومزاياها الاقليمية ، وميدان الدعوة إلى زيارتها خصب ممهد ؛ على أن مما يؤسف له أن مصر لم تقم حتى اليوم بتنظيم هذه الدعاية بطرق عملية ناجعة ، فليس لنا فى الخارج مكاتب ولا وكالات مصرية للسياحة ، وقنصلياتنا لا تبذل أى جهد فى هذا السبيل ؛ على حين أن جميع الأمم التى بها مراكز للسياحة تنظم دعايتها فى جميع أنحاء العالم تنظيما عملياً واسع النطاق ، فتنشئ لها مكاتب للسياحة فى الداخل والخارج ، وتذيع عن آثارها ومزايا السياحة فيها كتباً ونشرات بديعة جذابة توزعها بالألوف من مكاتبها وقنصلياتها ، ولا تدخر فى ذلك مالا ولا جهدا

ولكن مصر تقنع فى هذا الميدان بنشرات قليلة تذيعها فى بعض الصحف الأجنبية ، وبعض لوحات تعلقها فى عربات السكك الحديدية ؛ هذا إلى أن هناك دعايات مغرضة تنظم ضد مصر من منافسيها فى ميدان السياحة ، ومصر لا تبذل أى جهد لدحض هذه الدعاية السيئة

ولقد انشىء بمصر أخيراً مكتب رسمى للسياحة ، وبدأ أعماله فى ظروف سيئة عاقته عن القيام بالمجهود الذى تقتضيه هذه الحالة ؛ وإنا نؤيد الفكرة فى ذاتها ، ونرجو أن تتاح الفرص الملائمة ليقوم هذا المكتب الجديد بمهمته فى بث الدعاية لمصر وفى العمل على اجتذاب السياح إليها . بيد أن مهمة المكتب لا تقف عند هذه المهمة ؛ وفى رأينا أن مهمة المكتب الحقيقية هى وجوب العمل على تمصير موسم السياحة وجعله بجهد الاستطاعة مورداً قومياً يتاح للهيئات المصرية ولأبناء البلاد قبل غيرهم اجتناء فوائده وثماره ؛ وهذا يتطلب من مكتب السياحة أن يعمل فى دائرة واسعة متعددة النواحى

وإذا كانت السياحة قد أضحت كما قدمنا فى بلاد السياحة صناعة وفنا ، فانه يجب علينا فى مصر أن نفهمها بهذا المعنى ؛ وعلينا إذا شئنا أن نجتنى مغانم هذا الموسم أن نعنى بانشاء الفنادق الفخمة والمتوسطة ، وإنشاء المطاعم والابهاء الأنيقة ،

وتنظيم السياحة الداخلية ، وترقية طائفة التراجمة والمرشدين ، وتخفيض أجور السكك الحديدية ورسوم الآثار والمتاحف .

وإذا أردنا حقا أن يكون موسم السياحة فى مصر مورداً قوميا ، فعلى هيئاتنا الرسمية وغير الرسمية أن تبادر قبل كل شىء إلى العناية بصناعة الفنادق ، فهى عماد الموسم فى جميع مراكز السياحة ؛ ولا ندرى لماذا لا يفكر المولون المصريون فى النزول إلى هذا الميدان الذى ما زال يستأثر به الأجانب فى جميع عواصم القطر ؟ ولماذا لا يتجه الشباب المصرى إلى المساهمة فى هذه الصناعة وهى لا تحتاج إلى مجهودات فنية صعبة ؟ ولا ريب أن عدم توفر الفنادق الأنيقة المعتدلة الأجور من أهم عوامل الضعف فى موسم السياحة المصرى ، لأن الفنادق الأجنبية الفخمة التى تستأثر الآن باستقبال السياح ترهقهم بفداحة أجورها ونفقاتها ؛ وإذا تذكرنا الأرباح الطائلة التى توزعها شركة الفنادق المعروفة على حاملى أسهمها كل عام استطعنا أن نقدر إلى أى حد يرهق السياح النازلون فى فنادقها ؛ وهو إرهاق يترك أثراً سيئاً فى نفوس ضيوفنا الأجانب حتى الأغنياء منهم

ولا يسد هذا النقص سوى إنشاء فنادق مصرية أنيقة معتدلة الأجور ؛ وهى صناعة رابحة يجب ألا يتوانى المصريون عن النزول إلى ميدانها . ولاريب أن بنك مصر هو أقدر الهيئات المصرية الاقتصادية على فتح هذا الباب خصوصاً وهو يضم بعض الشركات والمرافق التى يتصل عملها بشؤون السياحة كشركة الملاحة وشركة الطيران ومكتب مصر للسياحة ؛ وغزو هذه الصناعة التى يستأثر بها الأجانب ويجانبها المصريون بغير حق ، يحقق لمصر غايتين : الأولى تمصير صناعة الفنادق واجتناء أرباحها ، والثانية تيسير أسباب الاقامة للضيوف الأجانب وتشجيعهم بذلك على زيارة القطر المصرى

ونعتقد أن مكتب السياحة المصرى يجد مجالا طيباً للعمل فى هذا الباب من الناحية الحكومية ؛ ذلك أن الحكومة المصرية لا يفوتها ما يترتب على إحياء صناعة الفنادق الأنيقة المعتدلة من توفير أسباب الراحة للسياح وتشجيعهم لا على زيارة القطر فقط ، بل على إطالة مكثهم به أيضا ؛ ولا بأس من أن تتولى الحكومة نفسها أو إدارة السكة الحديدية ، وهى من أوثق الادارات الحكومية اتصالا بشؤون السياحة ، القيام بأول خطوة فى هذا السبيل ، وإنشاء فندق أو أكثر من طراز نموذجى يجمع بين الفخامة واعتدال الأجور

بقيت مسألة نرجو أن يعنى بها مكتب السياحة عناية خاصة ، وهى مسألة التأشيرات التى تمنحها القنصليات المصرية فى الخارج لراغبى زيارة القطر . ومن المعروف أن نظام التأشيرات الحالى يكاد يقضى على كل اختصاص حقيقى لقناصلنا فى هذا الشأن ، ويجعل الاختصاص الحقيقى فى منح التأشيرات ورفضها لقلم الجوازات التابع لادارة الأمن العام (ورئيسه انكليزى) وفى معظم الأحوال يضطر القناصل المصريون إلى مراجعة إدارة الأمن العام قبل المنح أو الرفض ، وتستغرق هذه المخاطبات وقتاً ليس بالقصير ، وإذا كانت تلغرافية فانها تجرى على حساب الطالب . وبذلك تمضى أسابيع وربما مضت أشهر قبل أن يبت فى طلب الطالب ؛ ولا تستطيع القنصليات أن تمنح تأشيرة دخول القطر من تلقاء نفسها إلا للكبراء والأشخاص المعروفين . فهذا النظام المعقد يزهد الكثيرين فى زيارة مصر . ولا ريب أنه يحق للسلطات المصرية فى الداخل أو الخارج أن تعمل لمنع العناصر الأجنبية السيئة وغير المرغوب فيها من دخول القطر ، ولكن الحرص على هذه الغاية يجب ألا يكون عقبة فى سبيل العناصر الشعبية الطيبة التى ترغب فى الزيارة البريئة . وأملنا أن يوفق ولاة الأمر إلى وضع نظام جديد للتأشيرات يسهل مهمة القناصل المصريين ويذلل العقبات الحالية

هذه خواطر وملاحظات فى شؤون السياحة أملت بها أزمة الموسم الحالى ، وما نقرأ من آن لآخر عن الدعايات المغرضة التى تذاع ضد مصر وأحوالها فى الخارج تنفيراً للسياح من زيارتها ؛ فاذا أرادت مصر أن يكون لها موسم للسياحة يتناسب مع مكانتها الأثرية والاقليمية ، وإذا أرادت أن تجتنى كسبه وثماره ، فعليها أن تعنى قبل كل شىء بجعله موسماً قومياً يكون لمصر والمصريين فى استغلاله أوفر نصيب

(سائح)

رفعة المرأة

للأستاذ محمد بك كرد على

بقية ما نشر فى العدد الماضى

وعاد المؤلف فعقد فصلا فى الأعمال التى تبرز فيها المرأة على الرجل ، وهى الاحسان وتمهد المرضى وتربية اليتامى إلى غير ذلك من أنواع البر . ومما نقله لمديرة عصبة الخير أن الناس يتوخون أن يعرفوا ما نشكو منه من الأوجاع ، وما تشكو منه كل الأمم ، ومنشؤه افلاس تربية القلوب ، فقد وسع القائمون بالتربية درجات الذكاء بالتأديب الذى أدبوا الناس به ، وشددوا فى تلقين التربية الجسمية ، وظنوا فى ذلك الكفاية وهو دون حدها . فقد رأينا فى العهد الأخير أن خمسمائة مليون طن من الحنطة جعلت وقوداً ، أو ألقيت الى البهائم تقضمها ، على حين نجد ملايين من البشر فى الصين يموتون جوعاً . وألقوا فى البرازيل ٤٩٥٠٠ كيس من البن فى البحر ، ثم ٦٠٠٠٠ ألفاً جعلوها سماداً للأرض . وأبادوا فى ألمانيا مقادير من السكر . ودفنوا فى أوستراليا مليون خروف فى الأرض لئلا يستفاد منها ؛ وفى كل مكان يطرحون الأثمار والبقول والأسماك التى لم تنفق ، أو التى زادت على الحاجة ، ولا يفكرون فى أن بيوتا كثيرة تشكو العوز وتصاب بالمخمصة . ويزيد هذا الانحطاط فى الأخلاق كل يوم ، وتزيد معه وياللأسف هذه الأنانية كغيرها من النقائص التى تئن منها الانسانية ، وتردها الى أرذل أطوارها . فالشعور بالاحسان والأخاء سواء فى الحكومات أو فى الشعوب لم يستثمر ولم يرب . وعصبة الاحسان تعاون على تربية عقلية الأطفال فى المدارس التى تربى على حب الفضائل . وتمام الاحسان ضرورى فى الحياة الاجتماعية كتعلم الصناعات والأعمال

وأفاض فى وصف عقليات الأمم التى تخالف العقلية الفرنسية ؛ فما قال فى وصف عقلية الأمريكان فى الولايات المتحدة إنها مخالفة كل المخالفة لعقلية الفرنسيس فى مسائل الزواج ، فالزواج عند الفرنسيس بالنسبة إلى العزب نوع حديث من الحياة يتحتم أن يكون ثابتاً يسبقه على الأكثر شعور صادق عميق ، اللهم إلا عند بعض شباننا فى السنين الأخيرة . وأغلب الأمريكيين والأمريكيات (ما خلا الفلاحين والعملة فى المدن وجمهور الفقراء) يعتبرون الزواج فقط حادثاً يبقى ما تيسر له البقاء ، ويمكن حله لأسباب تافهة ، أو لأنه فقد فيه الرضا ، كأن الزواج عندهم بحسب ماعرف شامنور الحب تعريفاً فيه سخرية بقوله إنه « تبادل هويتين واحتكاك بشرتين » . وليس من النادر فى الولايات المتحدة أن امرأة ورجلا كانا بالأمس لا يعرف أحدهما الآخر أن يتلاقيا ذات صباح ويتأهلا فى نفس ظهر ذاك اليوم بمعرفة القس الذى يجمع وظيفة ضابط الأحوال الشخصية إلى وظيفته

ووضع فصلاً عنون له « كلمات للتأمل » جاء فيه أن مدام ماكدلين شوميون قالت فى جملة مقالات لها فى جريدة النهار البارزية : إن الفتاة عندما تبدأ فى فهم الحياة تتمثل أن تدخل فى ميدانها وحيدة بدون معين ولا استنصاح أحد . فيقال إنها تريد أن تعيش مستقلة وأنها تتجافى عن قبول آراء غيرها وتوبيخ أهلها ، وأنها تود أن تعمل لتربح مالا وتنفق على هواها ، وأن تبدو للناس ، وتسيح إذا اقتضت الحال ، وهذا غاية أمانيها . وهذا الجمهور الذى لا يحصى من الفتيات والنساء ممن يخرجن عن أطوارهن هو الذى يدعونا إلى اللهفة والأسف . ولقد رأينا محاميات انقلبن خادمات فى البيوت ، ولدينا براهين كثيرة على أنه خير للمرء أن يحسن صناعة من أن يحمل شهادات حسنة . ولقد نال كثير من النساء لقب دكتورات فى الحقوق فأصبحن كاتبات بسيطات على الآلة الكاتبة . يتعلمن علماً كثيراً ولا يعرفن احتياجهن على كسب قوتهن . وذكر المؤلف ما تحمله السينما من المفاسد ، ولا سيما للفتيات والصبيان ، وقبح الأبوين اللذين يستصحبان أولادهما لمشاهدة هذه المناظر التى لا تعلم فى الأكثر إلا القبائح والمفاسد

وروى ما قاله اميل بيكارد العالم الطبيعى الرياضى أن مستوى الأخلاق فى الجنس البشرى يسفل بمقياس واسع ، ولعلهم يقولون إن ذلك نشأ من الحرب العظمى ؛ والحقيقة أن هذه الحرب لم تعمل غير تعجيل هذا الفساد كما عجلت فى مسائل أخرى . وانتهى الحال ببعضهم أن ادعوا أن ذلك نشأ من العلم ، وهذه الدعوى تصدق ببعض الشيء ، ذلك لأن الآلة قد أحدثت جنوناً فى الانتاج الصناعى ، فان السرعة التى تمت فى المسائل الفنية لم تسمح للزمن أن يعمل عمله . والزمن يهزأ بشيء يعمل دون تدخله ، بل ينتقم من صاحبه . ولم تكتف الآلة باغراق العالم فى الرفاهية

بل قامت مقام الانسان المنتج القوى ، وأبطلت فى الانسان اعتياد العمل الشاق العميق الطويل ، فأصبح سطحياً واستغرقته السهولة ، وما نمت فيه القدرة المادية بل قل فيه العنصر الأخلاقى ، والجسم إذا اتسع توقع أن يكون له ملحق من الروح كما قال برجسون . وقد احتقرت الوطنية والتجارب وفقدت الحرمة الناتجة من الصبر والسن واختلاط العبقرية المريضة بالعبقرية السليمة وهى وليدة القوة

ونقل أقوالاً لعظماء من علماء العصر الحاضر تأييداً لقضيته ؛ ومنها أن نصف علم يحرزه المرء يتولد منه من الأوهام ما يكون أضرّ على صاحبه من الجهل ، لأن صاحبه يكلب على العمل فلا يأتى بكبير أمر ، وتزداد عاقبته الشؤمى بالضرورة لامتزاجها بالمصالح الشخصية والشهوات والأهواء الرائجة فى سوء الجدال الاجتماعى ، وما يتبعه من عبث العابثين بالسياسة المتجرين بها . وحمل على الاشتراكية التى تحارب المثمرين والمتمولين ، وتحاول القضاء على الطبقات الاجتماعية ، وعلى رؤوس الأموال ، وعلى النفرة من الحرب ؛ ونقل أن رؤوس الأموال إذا انعدمت تموت الاشتراكية ، لأنها لا تجد ما تحاربه فلا يبقى لها ماتقسمه من المال بين الاشتراكيين ؛ والاشتراكية تؤدى إلى « البلشفة » البشعة . ومن المتعذر قيام الدعوة الاشتراكية إذا فقد المال ، ولا شىء يعمل بلا مال . وما البلشفة إلا وضع حياة البشر فى يد عصابة تزعم أنها تمثل الدولة . ومعنى ذلك بسط السلطة العامة على الناس فى كل أمر يصدر من مصادر خفية . وقال هذا جنون شرقى ينساب على التدريج فى عقل الغرب

وختم كتابه بفصل فى انتشار العهر والأسباب الداعية إليه فى الغرب . وقال فى الخاتمة إن الفرنسيس ما خلا أربعة أو خمسة آلاف امرأة ومثلهن من الرجال يطمعون فى إعطاء حق التصويت للنساء لا يهتمون بتة فى منح الحقوق المزعومة للمرأة لادخالها فى الحياة السياسية . ويخشى اذا تمتع النساء بحقوق الرجال أن يقلبن أوضاع الأمة إلى التى لا تريدها ، شأن كثير من المتغلبين على الحكم فى الأمم يعملون ما تزين لهم أهواؤهم ، ويعلون إرادتهم على من يتعذر عليهم طاعتهم . وكان على هؤلاء الدعاة أن يبدأوا أولاً باقناع ملايين من النساء لا يريحه رأيهن فى الاشتراك فى الحياة السياسية . هذا والأفكار تسير سيرها ؛ ولعله يأتى اليوم الذى تستعد فيه المرأة الفرنسية للاشتراك مع الرجل فى الحياة العامة حذو القذة بالقذة . ويقضى على القائمين بهذه الدعوة ريثما تتحقق أمنيتهم أن يبدأوا باصلاح أخلاق المرأة الحاضرة وتهذيبها على أسلوب لا يقبل كل رأى يدلى به إليها ، وبمرورها على الأقل من سلطان أزيائها وتبرجها ، وأن يجهد الحاكمون أن يسيروا هذه الدعوة فى المجرى الصالح لخير المرأة والرجل والحب والسلام الاجتماعى ، ومستقبل العنصر ، والأخذ بأسباب الارتقاء الحق . والمرأة مهما حاولنا وصفها بالرقى الآن لا تخرج عن كونها تطمح فى استقرار حياتها وفى الخلوة إلى دارها ، وإن ألبسوها اليوم لباساً غير لباسها من النزوع الى الاستقلال . وقد أخذ كثير من الشبان يحولون اليوم وجههم متقززين من النساء المولعات بالألعاب الرياضية والمدخنات والشريبات والراقصات والساهرات أى من طبقة النساء ممن قد يكون فيهن العفيفات وظاهرهن أنهن بنات سرور ومرح ؛ ومن الطبقة التى يقول فيها الانجليز إنهن لسن نساء ولم يبلغن مبلغ الرجال

قال : أيتها المرأة إنك مهما فعلت مسوقة بنابل من الكبرياء وبعوامل أكرهتك على خوض غمار أزمة هذه الأيام لتخرجى عن حظيرة جنسك وتقطعى صلتك بعملك الأبدى السامى ، لن تكونى إلا محبة وزوجة وأماً . وإذا أنسيت رسالتك فان الطبيعة ستتولى عاجلاً أو آجلاً تذكيرك أن الأقدار ما خرجت بك إلا لتكونى شريكة الرجل ، وأم أولاده ، وجزؤه المتمم ، ونصفه ، وأحياناً الموحية اليه والمنقذة له . أنت أبداً مهد الآلام البشرية وستظلين على ذلك إلى يوم البعث والنشور ؟

محمد كرد على

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur والكلب المسعور

وصل الفائت

حقن بستور فى دجاج مكروبا قديماً ضعيفاً لداء كوليرا الدجاج ، فرض الدجاج ولكن لم يمت . وكان ذلك مصادفة . ثم حقن فيه مكروبا جديداً فتاكا فلم يمت . فتوصل بذلك إلى طريقة لتحصين الدجاج ضد الكوليرا ، إلى طريقة اللقاح أو الفكسين المعروفة اليوم

قلت فيما مضى إن بستور يضمر فى نفسه عبادة هذا الشىء العظيم الرائع الخفىّ فى هذا العالم المجهول ، وكثيراً ما ركع وسجد لهذه اللانهائية المستورة . ولكن أحياناً كان يأتيه الأمل فيطلب القمر وينسى رب السماء . وكلما رفعت إحدى تجاربه الجميلة ستاراً عن خفيّة من خفايا ذلك المجهول الضخم الرائع بأسراره ، ظن أن كل الخفايا انكشفت ، وأن كل العُقد انحلت . هكذا كان حاله ومزاجه فى هذه الساعة التى نحن فيها . إنه استطاع حقاً أن يحمى الدجاج حماية تامة من داء مميت بأن احتال له تلك الحيلة الجميلة فحقن فى الدجاج شيئاً من المكروب القتّال بعد تأنيسه وإضعاف شرته ، ولكنه ما كاد يستيقن من نجاح حيلته حتى قال لنفسه : « وما يدريني ؟ فلعل مكروب هذه الكوليرا يحمى الدجاج من كل داء خبيث آخر » . وما عتم أن حقن عددا من الدجاج بمكروب الكوليرا بعد إضعافه ، ثم أتبع ذلك بحقنة من مكروب الجمرة الخبيث ، واصطبر فلم يمت الدجاج !

فهاج وماج وكتب إلى أستاذه القديم دوماس ، ولمح له أن مكروب كوليرا الدجاج قد يكون لقاحا عاما يُحصّنُ من كل الأدواء . وكتب اليه يقول : « فاذا تأكد هذا ، جاز لنا أن نأمل من النتائج أخطرها ، حتى فيما يتعلق بأدواء الانسان »

وفرح دوماس الشيخ بالذى قرأ ، فنشر الخطاب فى التقارير الرسمية لأكادمية العلوم ، وها هو ذا إلى اليوم ماثل فى صفحاتها ، يشهد باندفاع بستور وتسرّعه ، ويكذّب من يقول إن بستور لا يقول دائماً إلا حقاً . ولقد بحثت ما استطعت فلم أجد أن بستور استردّ الذى قال ، ونفى الأمل الخادع الذى أحيا فى الناس . وبستور لم يطل به الزمن بعد ذلك طويلا حتى عرف خطل هذا الرأى ، واستيقن من أن النوع الواحد من البشلات لا يحصّن من كل الأمراض على نحو ما كان ادّعى ، وإنما يحصّن من المرض الواحد الذى هو سببه ، وحتى هذا قد لا يدفعه أحياناً

ولكن كان من خصائص بستور المحمودة أنه كان كلما انهدم له أمل ، قام على أنقاضه له أمل جديد ؛ وإذا احترق له رجاء ، انبعث له من رماده رجاء طريف . يحلّق به الخيال الوثاب حتى يصل به إلى السحاب ، ثم يخونه جناحاه ، فيهوى كالقنبلة على الأرض ، فتحسب هذا الدوىّ هو آخر ماتسمع منه ، ثم لاتلبث أن تراه قائماً من تلك الأنقاض على رجليه ، يجرى التجارب البارعة ، ويبحث بجد عن كل حقيقة صلبة صماء . لذلك لا تستغرب أن تسمع أنه فى عام ١٨٨١ كان يعمل مع عونيه رو وشمبرلاند ليكشف عن طريقة جميلة لتأنيس مكروب الجمرة وتحضير لقاح منه . فبمجىء هذا العام اشتد البحث وراء الألقحة اشتداداً لم يدع لرو وصاحبه وقتاً لراحة . حتى الآحاد اشتغلاها ، وأيام العطلة لم يتعطلاها ، والأجازات تجنباها ، وناما فى المعمل إلى جانب الأنابيب والمجاهر والميكروبات . وهنا ، وبارشاد بستور ، أضعفا بشلة داء الجمرة إضعافاً متدرّجاً . فمن الضعيف ما قتل الخنازير الغينية وأبقى على الأرانب ، ومن الأضعف ما قتل الفئران وأبقى على الخنازير الغينية . وحقنا الميكروب الأضعف فى الخراف ، وأتبعاه بالأقل ضعفاً ، فرضت الخراف ولكنها شفيت ، وبعد ذلك صمدت على ما يظهر لمكروب الجمرة القوى الذى يقتل الأبقار

وما لبث بستور أن أذاع نصره الجديد فى أكادمية العلوم — وكان قد ترك أكادمية الطب بعد عراكه الذى كان مع الدكتور جيران — وبشر لهم بلقاحات يرجو استحداثها قريباً تمحو كل الأدواء ، من النُّكاف إلى الملريا . وصاح فيهم : « وهل أيسر من لقاح الجمرة هذا ؛ سموم تُضعف بالتدريج من شرّتها

فتعطى الخراف والأبقار والخيول بعض الداء دون أن تقتلها ، ثم تتعافى ، فتنمو من الداء أبداً ! » وظن بعض زملاء بستور أنه يبالغ فى يقينه ، ويغلو فى ثقته بهذا اللقاح ، وتجاسروا على الجهر برأيهم ، فانتفخت أوردة بستور فى جبهته ، ولكنه كظم غضبه هذه المرة واستطاع أن يحبس لسانه حتى خرج هو ورو وسارا فى الطريق إلى منزليهما ، وعندئذ انفجر بستور على هؤلاء وعلى أمثالهم ممن يعجزون عن الايمان بالحق المحض الذى احتوته فكرته قال : « أنا لا أعجب إن أنت ذهبت إلى منازل أمثال هؤلاء فوجدتهم يضربون أزواجهن ضرباً »

صدقنى ، ما كان العلم لدى بستور جمع الحقائق بنفس مطمئنة باردة ، فقد أثار فيه نفس الشىء الذى يثير الحيوان الآدمى إلى البكاء عند موت طفله ، أو إلى الفرح والغناء عند نعى عم أو خال قد ترك له من بعد موته نصف مليون دولار

وأخذ أعداء بستور يتبعون أثره ليثأروا منه شر ثأرة . ولم يكن أعداؤه من الأطباء فحسب ، بل كذلك كان البيطريون وهم رجال لهم مقام فى الناس ونفع لهم . أساء بستور إلى هؤلاء وهؤلاء فتصدى له بيطرىّ فنصب فى طريقه فخا عظيما وأغراه بالوقوع فيه . وكان اسم هذا البيطار روسنيول Rossignol . قام ذات يوم فى الجمعية الزراعية بميلان Melan يغرى بستور باجراء تجربة عامة ، يجريها على الملأ فى سبيل العدالة العلمية ظاهرا ، وفى سبيل القضاء على بستور وأم بستور باطنا . قال للجمعية : « إن بستور يقول إن أسهل شىء فى الدنيا صنع لقاح يحصن الشياه والأبقار من داء الجمرة تحصينا كاملا . فان حق هذا القول عاد على زرّاع فرنسا بالنفع العظيم ، ووفر عليهم عشرين مليون فرنك يخسرونها كل عام بسبب هذا الداء . إن بستور لو كان يستطيع حقا إخراج هذا اللقاح العجيب ، لما وجد على نفسه غضاضة أن يثبت لنا أنه يستطيعه . فهيا بنا ندعوه إلى تجربة عامة يجريها فى الجمهور ، فان أصاب كان لنا الغنم نحن معشر المزارعين والبيطريين ، وإن خاب سكت عن هذه الثرثرة الكاذبة ودعاويه الباطلة عن كشوفات هائلة تُنجِى من كل شىء ، من ديدان الأرض إلى حيتان الماء » . هكذا تمنطق هذا البيطار الماكر

وسرعان ما جمعت الجمعية مالا كثيراً لشراء ثمان وأربعين شاة ، وعدد من الأبقار ، وجديين ، واختارت البارون دى لا روشت de la Rochette لمكانته وشهرته ، فبعثت به إلى بستور ليدخل اليه من عُجبه ليوقعه فى هذه التجربة وفيها من الخطورة ما فيها

ولم يشعر بستور أبداً بالذى يراد به ، فقال للبارون : « بالطبع أنا راض بالذهاب إلى جمعيتكم لأريكم أن لقاحى ينقذ الحياة — إن علاج أربع عشرة شاة فى معملى لا يفترق عن علاج ستين فى ميلان ! »

هذا هو الشىء الغريب المظلم فى بستور : يريد أن يخرج البيضة من الديك ، والأرنب من القبعة ، ويدهش العالم ، فيقوم بكل هذا فى اخلاص عظيم وإيمان بما يصنع كبير ، كان عرّاضاً كبيرا بارعاً ، وكان يجوز عليه أن ينزل فى سبيل ذلك أحياناً إلى ملاعيب بهلوانية يسيرة ، ولكنه لم يكن يعمد إلى التدبير والتخطيط لشىء من هذا أبداً . وتعيّن موعد امتحانه فى الملأ ، فكان مايو ويونيه من ذلك العام

وكان رو وشمبرلاند قد تعبا من العمل المتواصل تعباً كبيراً أثر فى أعصابهما ، فأخذا يريان رؤى مفزعة ، فتارة تفلت فى النوم إلى الأرض من أيديهما قبابة خطيرة بالذى فيها ، وتارة يجدان نفسيهما ينظران إلى حيوانات غريبة نصفها دجاجة ونصفها الآخر خنزير . أو لا يأتيهما النوم فيأخذان فى حقن الملايين من الأرانب وهم فى الفراش راقدون ، فلما ساء حالهم إلى هذا الحدّ طلبا الراحة فى الريف ، وما كادا يستقران فيه حتى جاءهما التلغراف الآتى :

« أرجعا إلى باريس حالا . على وشك تجربة عامة أن لقاحنا يحمى الشياه من الجمرة — ل . بستور . »

فرجعا مسرعين . فقال بستور للقوم : « فى مزرعة پوييلوفرت Pouilly-le-fort ، وفى حضرة الجمعية الزراعية بميلان ، سألقح أربعاً وعشرين شاة وبضع بقرات وعنزة واحدة . وسأدع بدون لقاح مثلها فى العدد عنزة وشياها وأبقارا ، فاذا جاء الوقت الموعود سأقوم وأحقن كل هذه الحيوانات بأخبث زريعة لدينا من بَشِلّة الجمرة ، أما الملقّحات فستكون فى حمى من الداء ، وأما الأخرى فستموت طبعاً فى يومين أو ثلاثة . » تحدّث بستور

كالفلكيّ يتنبأ بكسوف الشمس

قال صاحباه : « ولكن يا أستاذنا إنك تعلم أن عملنا هذا كالمشى على الصراط ، فنحن لا يمكننا أبداً أن نأمن أمناً تاماً إلى ألقحتنا ، فهى قد تقتل الشياه التى نريد أن نحميها . . . »

فزعق بستور فيهما : « إن اللقاح الذى يعمل بنجاح فى أربع عشرة شاة فى معملنا لا شك ناجح فى خمسين شاة فى ميلان » . فانه عندئذ لم يرد أن يسمع بالخيبة ، أو يذكر أن الطبيعة لها سرٌّ لا يُفشى وخدعات لا تؤتمن ، أو أن الغيب قد يخبئ كثيراً من العثرات ويأتى بكل غريب لا يُحتسب . بل لقد تراءى هذا الغيب فى عينيه رائقاً كالماء ، شفافاً كالهواء ، سهل القراءة كما تقول اثنان فى اثنين ينتجان أربعة . فلم يكن لرو وشمبرلاند بدّ من رفع الأكمام وكشف السواعد والأخذ فى تجهيز الألقحة

وجاء يوم الامتحان الأكبر ، فكانت المحاقن جاهزة ، والقبابات حاضرة ، وكل قبابة عليها اسمها . وصاح بستور فيهما وقد همّوا جميعاً بركوب القطار : « إياكما ياولدىّ أن تخلطا بين الألقحة » . وكان قلبه مليئاً بالثقة ووجهه يطفح بشراً . ولما بلغوا بويي لوفرت Pouillz-le-Fort ، وصلوا إلى الحقل الموعود حيث الثمانى والأربعون شاة وبضع الأبقار والمعزتان ؛ تقدم بستور إلى إلى الميدان ، فدخله دخول مصارع الثيران ، وانحنى وطيئاً للجمهور المحشود ، وكان فيه أعضاء من مجلس شيوخ الجمهورية ، وكان فيه علماء وبيطريون وكثير من ذوى الأحساب ومئات المزارعين . فسار بستور بين صفوفهم بعرج قليلا ـ عرجة العظم والوجاهة لا عرجة الضعف والاستعطاف ـ فحيوه تحية صارخة ، وتسخّر به قليل

وحضر جماعة من رجال الصحافة ، وكان من بينهم رسول جريدة التيمس السيد دى بلاوتز Blowitz ، هذا الرجل المعروف الذى أصبح اليوم فى التاريخ كأنه شخص خرافىّ مما يحكى عنه من الأعاجيب

وسيقت الأغنام إلى فرجة من الحقل ، وقام رو وشمبرلاند إلى مصابيح الكحول فأشعلاها ، وإلى المحاقن الزجاجية فأخرجاها بحذر من لفائفها ، وجاءا بلقاح الجمرة الضعيف الأول الذى يقتل الفئران ويُبقى على الخنازير الغينية ، فحقنا منه خمس قطرات فى أفخاذ أربع وعشرين شاة وفى عنزة وفى نصف البقر . ونهضت البهائم وهزّت رؤوسها ، وأعلمت بثقب فى آذانها . ثم قاد بستور جموع الناس إلى إحدى الزرائب ، وخطبهم نصف ساعة خطبة نخمة فى هذه الألقحة الجديدة ، وبشر فيهم بالرحمات التى تحملها للانسانية المعذّبة

ومر اثنا عشر يوماً ، وجاء الناس مرة أخرى إلى الحقل واحتشدوا فيه ، فقام أعوان بستور إلى اللقاح الثانى الأقوى الذى يقتل الخنازير الغينية ولا يقتل الأرانب(١) ، وحقنوا منه المواشى مرة ثانية ، ونهضت بعد الحقن نشيطة كما يجب أن تكون الشياه والماعز والأبقار السليمة الصحيحة ، واقترب الموعد الخطير للحقنة الثالثة ، وهى أقوى الثلاثة فتحرج جوّ المعمل ، وثقل هواؤه ، واشتد العمل على رجاله ، فجرى الحديث بينهم اقتضاباً من وراء المصابيح . وصمت بستور صمتاً مخيفاً لم يُعهد فيه أبداً ، وكان يطلب ما يريد آمراً صارخاً يكاد ينط له صبية المعمل فى انفاذه نطّاً . وكان انضم إلى أعوان بستور عون جديد يسمى توييه Thuillier ؛ كان أصغرهم سناً ، فهذا كان يخرج إلى الحقل ليضع مقياس الحرارة تحت أذيال البهائم يرقب سير الحقنة فيها ، ولكن حمداً لله لم يجد بها حُمى ، وكانت جميعاً قائمة على خير حال ، صامدة للقاح الشديد صموداً عجيباً

وبينما قلقَ رو وشمبرلاند وشاب رأساهما همّاً وحذراً وانتظاراً ، احتفظ بستور بثقته بنفسه . كتب يتحدث برأيه القديم الصريح الجميل عن نفسه قال : « لو تم النجاح الذى أرجوه ، فسيكون هذا مثلا من أروع الأمثلة لتطبيق العلم على الحياة فى هذه البلاد ، وسيسجله التاريخ كشفاً من أخطر الكشوفات وأكثرها ثمراً »

قال أصدقاؤه همهمة ، وهم يهزون الرؤوس ويرفعون الأكتاف : « نابليونيات رائعة أيها العزيز بستور ! »

قال بستور : « نابليونيات ولا نكران يا أعزائى الأصدقاء »

(تتبع بنتيجة هذه التجربة فى العدد القادم) أحمد زكى

(١) ربما احتجنا إلى تذكير القارئ بأن الخنازير الغينية أكبر من الفئران وأصغر من الأرانب

على هامش حوادث دمشق

أطفـــــال دمشق

بقلم الأستاذ «ع»

لمن هذه الرشاشات منصوبة فى الميادين والطرقات ؟ لمن هذه المصفحات وهذه الدبابات ، تروح وتغدو فى الشوارع والساحات ؟ لم تحوّم فى الجو هذه الطيارات ؟

لماذا يساق هؤلاء الجنود من كل جنس وكل لون ، فمن الشقر الفرنسيين الذين علموا أمم الأرض كيف تكون الثورة على الظالمين ، وكيف تنتزع الحرية من بين أنياب الأقوياء المستبدين ؛ إلى السمر المغاربة المسلمين ، الذين جاءوا راغبين أو راهبين ، ليحاربوا اخوانهم المسلمين ؛ إلى السود السينغاليين ، من كل أشمط تدنى الموت طامته ينساب فى لهوات الليل ثعبانا زعانف وعبـاديد برابرة لا يعرفون لهذا الكون ديانا

إلى الصفر الهنـديين الصينيين ؛ إلى هؤلاء (المتطوعة) أنصار الباطل ، جزاة الخير بالشر ، الذين أكلوا خبزنا وحاربونا ! ! أكل ذلك لأن هذا الشعب الأعزل تحرك ؟ أكل ذلك لأن دمشق غضبت ؟

تيهى إذن يا دمشق واعتزّى ، فما أنت بالضعيفة ولا بالهينة ، وقد حشدوا لك مالا يحشدون أكثر منه لقوم هتلر ، وشيعة ستالين !

***

كانت دمشق يوم الجمعة صابرة تتجرع حزنها على (ابراهيم) فى صمت رهيب ، وسكوت هائل ، فلم تحرك ساكناً ، وما دمشق بالتى تعرف أنة المكلوم ، أو استغاثة العاجز ، ولـكنها تعرف الصبر الذى لا يصبر عليه الدهر ، أو الصرخة التى تصدع الصخر ، وتخرج الميت من القبر ؛ وما دمشق بالتى تعرف هذا الاحتجاج الضعيف ، احتجاج « أوسمته شتما وأودى بالابل »... ولـكنها تتلقى الضربات بصدر كأنه الجلمود لا يشقق ولا يرفضّ ولا يلين

وباتت دمشق على هذا الصمت ، فلم يمض هزيع من الليل حتى سمعت الصريخ ، فأفاقت فزعة ، تسأل :

— ما الخبر ؟

— قيل : اختطفوا (فخرى البارودى)

ابن دمشق يختطف من حضن أمه وهى نائمة ؟ . . . يا للهول الأكبر ! يا لهبّة دمشق ! يا لغضبة البطل الغشمشم !

***

أقبل أبناء دمشق بأيديهم ، وأقبلت هذه الجيوش بحديدها ونارها ، وكانت المعارك ... التى يصطرع فيها الحق والقوة ، والدم والنار ، والصدور والحديد ، فبينما معركة من هذه المعارك على أشدّ ما تكون عليه وإذا ...

وإذا ماذا ؟ ليس على وجه الأرض من يستطيع أن يقدر ماذا كان ، إلا هؤلاء الشاميون ، وهؤلاء الفرنسيون الذين أكبروا جميعاً هذه البطولة التى لم يرو مثلها التاريخ . . .

وإذا خمسون من الأطفال الذين لا تتجاوز سنّ أكبرهم التاسعة ، ينبعون من بين الناس ، يخرجون من بين الأرجل ، منهم التلميذ ذو الصدرية السوداء والأزرار اللامعة ، قد فرّ من مدرسته وقمطره لا يزال معلقا فى عنقه ، وحمل مسطرته بيده ... ومنهم صبىّ اللحام ، وأجير الخباز ، قد اتحدوا جميعاً ، وأقبلوا يهجمون بالمساطر على الدبابة وهى تطلق النار ، وهم يطلقون من حناجرهم الرقيقة بأصواتهم الناعمة ، التى تشبه الآلة السحرية التى غنّى عليها الفارابى ، فأضحك وأبكى . . . هذه الأنشودة البلدية المعروفة :

وصغارنا تحمل خناجر وكبارنا عالحرب واصل

يا با الوطن يا با الـكفن

فوقف الناس ينظرون اليهم ، وقد عراهم ذهول عجيب . فارتخت أيديهم بالحجارة التى كانوا يقاومون بها الرصاص . . . حتى رأوا الأطفال قد تسلقوا الدبابة وركبوها فاشتعل الدم فى عروقهم ، وفى أحقاف رؤوسهم ، فأنشدوا أنشودة الموت :

« يا سباع البر حومى ... ... »

وهم يرعدون بها . فتهتز من جهجهتها الغوطة ، ويرتجف قاسيون . وأقبلوا كالسيل الدفّاع . . .

ولـكنهم رأوا الدبابة قد كفت عن الضرب ، ثم انفتح برجها ، وخرج منها شاب فرنسى يبسم للأطفال ، وإن فى عينيه

لأثر الدمع من التأثر ، ويداعبهم ، ويقدم لهم كفاً من الشكولاته ، ثم يعود إلى مخبئه !

إنسانية قد توجد حتى فى الدبابات !

* * *

ورأيت فى هؤلاء الصبية تلميذاً فى شعبة الأطفال من مدرستنا ، وكان صغيراً جداً ما أظنه قد أكمل عامه السابع ، فدعوته فأقبل حتى أخذ بيدى ، وجعل يرفع رأسه إلى يحاول أن يتثبت من وجهى ، فقلت :

— لماذا عملتم هذا العمل يا بابا ؟

— فقال : أخذوا لخى الباغودى (يريد أخرى البارودى)

— قلت : ومن قال لك ذلك ؟

— قال : أمى . وقالت لى هلّى بموت بالقصاص بفوح عالجنة (يريد : من يموت بالرصاص يذهب إلى الجنة)

— قلت : وإذا أرجعوا أخرى البارودى ، هل ترضى ؟

— قال : لأ . خلى يفوحوا (يروحوا) هدول كمان ما بدنايام ! (يريد فليذهب هؤلاء أيضاً ، لا نريدهم)

فسكتّ . فقال :

— أستاذ ، ليش الاسلام مالهم عسكغ (عسكر) ؟

فأصابتنى كلمته فى القلبّ ، ووجدت كأن شيئاً جاشت به نفسى ، ثم صعد إلى رأسى ، ثم وجدته فى قصبة أنفى ، وآماق عينى ، ودق قلبى دقاً شديداً ، فتجلدت ومسحت عينى ، وحككت أنفى ، وقلت له :

— أنتم يا بابا عسكر الاسلام .

— قال : نحن صغار !

— قلت : ستكبرون يا بابا ، انتم أحسن منا ، نحن لما كنا صغاراً كنا نخاف من البعبع ، ونخشى القط الأسود ، وأنتم تهجمون على الدبابة ، فالمستقبل لكم لا (لهم) ... !

* * *

وبعد ، فلمن هذه الرشاشات ؟ ولمن هذه المصفحات وهذه الدبابات ؟ ولمن هذه الجنود وهذه الطيارات ؟ إنها لم تصنع شيئاً ، ففتشوا عن شىء أكبر من الموت ، لتفزعوا ... (أطفال دمشق) !...

« ع »

علم غير مفيـــد

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

فى النشرة الأخيرة للجامعة الأمريكية فى بيروت مقال افتتاحى عنوانه « علم الفلك — علم غير مفيـــد » وقد أوحت إلىّ قراءته أن أكتب هذه المجالة فى الفوائد التى جناها الانسان من علم الفلك . ويُلاحظ أن المتعلمين وطلاب المدارس العالية والكليات والجامعات يختلفون فى نظرهم الى هـذا الفرع من المعرفة اختلافا بيّنا ، فمنهم من يقول بوجوب تدريسه والاعتناء به ، إذ فيه فوائد ومنافع عادت على البشرية بأطيب الثمار ، ولولاه لما شعر الانسان باللذة الروحية شعوره الحالى ، ولبقى نظرنا إلى الكون فى نطاق محدود ، وفى محيط ضيق ؛ وفريق آخر يقول بعدم فائدة علم الفلك ، وبأن فى تدريسه إضاعة للوقت فيما ليس فيه غناء ، وأن الأولى لنا أن نهتم بشىء يعود على المدنية بالمتاع والنفع . ولا يقف هذا الفريق عند هذا الحد ، بل يتعداه إلى الجهر بأن الاعتناء بعلم الفلك وإنفاق الأموال الطائلة على مراصده وآلاته ضرب من الهوس والسخف ؛ ويتساءل هذا الفريق قائلا : ماذا يستفيد الانسان من معرفته أن الأرض كوكب من كواكب أخرى تدور حول الشمس ، وأن لهذا الكوكب تابعاً — القمر — يدور حولها ؟ وهل يزيد فى سعادة البشر ورفاهيتهم إذا عرفوا أن لبعض الكواكب توابع كما للأرض ؟ وهل فى القول بأن فى السماء نجوما لا عديد لها بعضها أكبر من الشمس وبعضها أصغر ، وأن هناك أنظمة أخرى وسدماً ومجرات وعوالم ، هل فى كل ذلك ما يعود علينا بالتقدم ؟ هذه بعض أسئلة الفريق الذى لا يؤمن بأهمية علم الفلك ومنافعه . ويسرنى ألا أكون من هذا الفريق وأنى أخالفه وأنا أكون من الفريق الأول القائل بسمو علم الفلك وبأثره الفعال فى تطور نظر الانسان الى الكون وما يحويه من أعاجيب

وفى رأيى أن علم الفلك من العلوم الواجب تدريس مبادئها لطلاب المدارس العالية والكليات والجامعات وجعله اجباريا ، حتى يخرج الطالب وقد جمع الى العلوم العملية والفنون النافعة علماً ومعلومات عامة هى أسمى أنواع المعلومات ، توسع أفق التفكير

وتنير العقل ، وتزيد فى الاعتقاد بقدرة الخالق وعظمته المبدعة .
وأرجو ألا يُساء فهم القصد من تدريس مبادىء علم الفلك لطلاب التعليم العالى ، فقد يُظن أنى أطلب تدريس الفلك على وجه مفصل حيث المعادلات العويصة والأرقام المخيفة والعمليات المرعبة . . . ! أنا لا أطلب هذا ، إذ لا يتيسر الوقوف على كل ذلك إلا لمن كان له ميل الى الرياضيات ورغبة فى الطبيعيات وولع فى علم السموات . ولكن أقول إن علم الفلك برغم دقة بحوثه وما يحويه من عويص الموضوعات فيه كثير من البسائط سهلة التناول قريبة المأخذ تسهل الاحاطة بها وفهمها بدون تكلف أو صعوبة فنية . وهذه هى التى أدعو الى إدخالها فى مناهج التعليم العالى حتى يخرج الطالب ولديه فكرة عن هذا الفرع السامى مما يعود عليه بأجل الفوائد من الناحية الروحية والمعنوية فيرفعه إلى الى ما هو أسمى من عالمه وأعلى من محيطه المادى

ولعلم الفلك فوائد عدة جليلة أهمها أنه وسّع نظر الانسان وأفق تفكيره فى الكون ، وجعله يدرك بوضوح وجلاء أن الكون وما يحويه من أجرام تسير على أنظمة ثابتة لا تتغير وأن الظواهر الجوية والطبيعية لا تحدث عفواً واتفاقاً ، بل إنها سائرة حسب قوانين ونواميس لا فوضى فيها ولا شذوذ ، عرف الانسان بعضها ولا يزال يجاهد فى معرفة البعض الآخر ، وأصبح فى استطاعة الفلكى أن يتنبأ عن الخسوف والكسوف وغيرها من ظواهر الطبيعة قبل حدوثها ووقوعها بعشرات السنين

لقد كان العلماء فى القرون الماضية يعتقدون أن أكثر ما يجرى فى هذا العالم هو من قبيل المصادفة وأن ليس هناك نظام شامل أو ناموس مسيطر ، ولكن بحوث علم الفلك أفسدت هذا الاعتقاد وأقامت الأدلة على بطلانه ، فثبت أن كل ما يجرى حولنا سائر على أنظمة خاصة وسنن ثابتة ، وأن ما يسيطر على أصغر أجزاء المادة يسيطر على أكبرها ؛ فالنظام الذى تسير عليه الذرة بالكتروناتها ونواياها هو النظام بعينه الذى يسير بموجبه النظام الشمسى والنظم الأخرى بكواكبها ونجومها وشهبها ونيازكها ، وهذه الفائدة هى من أجلّ الفوائد التى جناها العالم من علم الفلك ، فكانت سبباً فى تقوية إيمانه بوجود قوة خارقة منظمة مبدعة عن طريق البحث والاستقصاء والتفكير العميق

وكيف لا يكون علم الفلك علماً مفيداً وقد حذر الانسان من الانخداع بالظواهر وعدم الاعتماد عليها فى كثير من الأحيان وعلمه كيف يعمل العقل والفكر فى اكتناه حقيقة هذه الظواهر والوقوف على أسباب حدوثها . ألم يعتقد الانسان فى العصور الأولى والمتوسطة بأن الأرض هى محور هذا الوجود ، وأن الشمس وغيرها تدور حولها ، وأن كل شىء فى هذا الكون تابع للأرض ، فهى مركز دائرة هذا العالم والعنصر الأساسى فيه ؟ كان هذا الاعتقاد سائداً يدين به كثير من نوابغ العلماء وفحول رجال الفكر ، وبقى الأمر على هذه الحال إلى أن تقدم علم الفلك فرمى بهذه الأوهام عرض الحائط وبيّن للناس أن الأرض ليست إلاّ ذرة تدور فى فضاء الله الواسع ، وأن الشمس وكواكبها وتوابعها ليست إلا جزءاً يسيراً جداً من هذا الكون الذى لا يعلم مداه إلا العليم القدير . لقد بيّن لنا علم الفلك أن الانسان جرم متوسط بين الكوكب والذرة ، وأنه يستطيع بفضل ذلك وبفضل ما وهبه الله من قوى روحية ومعنوية أن يدرك حقيقة الأشياء الصغيرة من جهة والكبيرة من جهة أخرى ، واستطاع فوق ذلك أن يعرف الشئ الكثير عن حركات النجوم وطبائعها والعناصر التى تتكون منها ، وثبت له أن النجوم ليست إلا معامل كيمياوية وبوادق هائلة ذات حرارة عظيمة جداً من الصعب تصورها ؛ وقد يأتى يوم يستطيع فيه الفلكى أن يكشف أسراراً مغلقة عن كيفية تفاعلات عناصرها بعضها مع بعض ، وسيجدون فى هذه الاكتشافات ما يعود على البشرية بخير عميم .

وما يدرينا لعلهم يستطيعون من دراسة النجوم وكشف غوامضها أن يقفوا على سر الحياة وهو ما يصبو إلى الوصول إليه كبار العلماء وعباقرة الفلاسفة ونوابغ المفكرين

والذى لا أشك فيه أن فى إدراك الانسان لبعض هذه الحقائق وفى وقوفه على النواميس والأنظمة المسيرة لهذا الكون فى صغار محتوياته وكبارها لمن العوامل الرئيسية التى جعلته يسيطر على كثير من عناصر الطبيعة وأفعالها ، ومن هنا نتجت فوائد مادية عجيبة لم تكن فى الحسبان ولا خطرت على قلب إنسان . وزيادة على ذلك استطاع الفلكيون أن يصلوا إلى نتائج باهرة فى تاريخ الكون وعمره فثبت لهم أن الانسان لا يزال عند مبدأ حياة جنسه ، وأنه لا يزال عند فجر يقظته العقلية ، وأن تاريخه كله ليس إلا طرفة عين إذا قيس بأعمار النجوم ، وأنه ليس فى استطاعته أن يتفهم كل عجائب الأكوان وغرائب الوجود ، ولما يمض على ظهور عقله إلا دقة واحدة من دقات ساعة الفلك ، وأنه كلما تقدم

في الزمن وقف على مدهشات وعجائب تحير العقل ، وتخلب اللب ، وتثير الدهش ، وتزيد في العبر .

والآن ... وبعد أن ظهر لك بعض الفوائد التي جنتها البشرية من هذا العلم السامي المبني على أدق القوانين الرياضية والطبيعية ، وبعد أن تبين لك أثر بحوثه على عقلية الانسان ، بعد كل ذلك هل من الانصاف أن يقال إنه علم غير مفيد ؟

أوليس الانصاف والعدل يقضيان على الانسان أن يعترف بسموه وسحره الحلال الأخاذ ؟

أليس الوقوف على أسراره ومحاولة كشف غوامضه مما يزيد المرء اعتقاداً بضآلته وشعوراً بأن الواجب عليه أن يكون كثير التواضع وفي الذروة العليا من سمو الخلق ؟

ثم أليس هذا التواضع وذاك الخلق السامي من العوامل الأساسية في سعادة البشر وطمأنينتهم ؟

وأخيراً أليست السعادة والطمأنينة هما الغاية التي يصبو اليها الانسان على سطح هذه الكرة المجلية ... ... ؟؟

(نابلس) قدري حافظ طوقان

بيوولف

BEOWULF

أقدم ملاحم الانجليز الشعرية

للأستاذ حسن عبد الحليم اليماني

تمهيد تاريخي :

يرجع أصل الانجليز إلى قبائل الانجلو سكسون التي كانت تنزل الأراضي المنخفضة الألمانية في الجزء الممتد من مصب نهر الالب إلى شاطئ البلطيق ، وذلك قبل أن يدعوهم البريتون سكان الجزر البريطانية الأصليون في عام ٤٤٩ م لطرد قبائل الغال التي وفدت على بلادهم مستعمرة . وحلا لهم بعدها البقاء ، وتكاثروا حتى غلبوا أهل البلاد على أمرهم ؛ فبرزت إلى الوجود ثلاث ممالك انجليزية ضمت تلك القبائل المتفرقة ؛ وهي ممالك : نورثمبريا ، ومرسيشيا ، ووسكس Northumbria, Mercia and Wessex ، وذلك في أواخر القرن السادس الميلادي . وكان الانجليز قد حملوا معهم نصيباً من الأدب المتوارث تواتراً عن موطنهم الأول . ولم تكن لهم حروف صالحة لتدوينه ؛ حتى إذا اعتنقوا المسيحية ، عرفتهم إلى حروف الرومان الهجائية ، فسجلوا بها ما وعته حوافظهم من ذلك التراث . وقامت في هذا الصدد محاولات ناجحة ، ازدهر بها سوق الأدب ونفق ، وخصوصاً على يد أهل نورثمبريا التي قامت على رعاية الأدب وحفظه ، فدونوا الملحمة الشعرية « بيوولف » التي سنتكلم عنها كما سجلوا غيرها من آدابهم وتواريخهم . ونمت تلك الحركة إلى أن صدمها الغزو الداغاركي الذي عاود البلاد مرتين ؛ ثم شلها بعده الغزو النورماندي عام ١٠٦٦ م ، فأوقف نماءها قرابة قرن ونصف قرن . فالذي خلص لنا من تراث ذلك العهد إنما يمثل لنا في صدق صميم الروح الانجليزية ، قبل أن تسمها مياسم جديدة من أثر الاختلاط بين الانجليز والبريتون ثم بينهم وبين الداغاركيين والنورماند اجتماعياً وسياسياً ؛ وقبل أن تطبعهم المسيحية بطابعها . كما أنها ترسم لنا تلك المحاولات الأولى التي قام بها الانجليز في سبيل تدوين أدبهم والتعبير عنه ؛ وتوقفنا على التدرج الطبيعي الذي لازم تلك الجهود من دور إلى دور

بيوولف

بيوولف ملحمة شعرية طويلة فيما يزيد على ثلاثة آلاف بيت نظمت – على الأرجح – في مستهل القرن الخامس الميلادي ، قبل أن يزايل الانجليز موطنهم الأول إلى بريطانيا . وطابعها المميز لا يقوم على أنها أقدم قصائد الانجليز عهداً ، بل على أنها أصدق صورة للمجتمع الانجلوسكسوني القديم ، توضح لنا في جلاء حياة القوم في وطنهم الأول ، وترسم لنا أخلاقهم وعاداتهم ، وتنفذ إلى أكواخهم ودخائل معايشهم ، وتسجل تاريخهم وأيامهم . فقيمتها لهذا لا ترتكز على الناحية الفنية فحسب .

أما عبارتها فأنيقة موجزة ، تطرد كل الاطراد مع الموضوع الذي تؤرخه وتروي حوادثه الحربية ، في سرعة وتسلسل لا يفقدانها توازنا ، أو يمشان إلى سطورها مللا وسآمة . وهي وإن كادت تخلو من التشبيهات التي لا تعدو خمسة ، فيها كثير من الاستعارات الجميلة البسيطة . والشعر السكسوني لا يأبه للوزن والقافية ، وإنما يعتمد كل الاعتماد على النبرات والمقاطع المشددة ، يكاد يلتزمها في كل جزء من أجزاء البيت ، فلا يكاد يخلو جزء من ثلاث كلمات مشددة ، تتشابه كلها في حرفها الأول غالبا

وبيوولف قطعة رائعة نادرة من الأدب القديم ، ظلت حبيبة إلى قلوب الانجليز ومشاعرهم خلال عدة قرون ، وإن كادت تختفي اليوم وتنسى إلا من كتب الأدب . وكثيرا ما أوحت إلى الشعراء وأمدتهم ببضاعة حية زاخرة ، وآخر من نلمس أثرها فيه منهم شاعر اسكتلندا الكبير وليام دنبر William Dunbar (من حوالى سنة ١٤٦٠ إلى سنة ١٥١٣ م) . وهي إلى هذا لا تخلو من سطوة الخرافة عليها ، شأن الملاحم القديمة ، تلك الخرافة التي أنتجها الخيال الآرى الخصب ، والتي تظهر لنا واضحة جلية في آداب الاغريق والرومان والتيوتون (آباء الأنجلوسكسون) ، والتي نراها تتسلل إلى أساطير الفراعنة أيضاً . وهي في كل حالاتها تحاول أن تمجد الانسان وترفعه — على صور عدة — إلى مصاف الآلهة وأنصاف الآلهة ، وحتى تنتظمه وإياها في وشائج وأنساب متشابكة متداخلة ؛ على أن أسطورتنا هذه لا تسمو ببطلها إلى حيث يختصم الآلهة وينتضل الأرباب ، بل تقنع بتوجيهه إلى أغوار الجن والمردة ، يصارعها وتصارعه ، حتى يغلب أشدها مراسا وأقواها أيدا

ولغة القصيدة لاتكاد تفهم اليوم ، فقد نبت واستوحشت . وحوادثها تدور حول البطولة الوثنية وحول حياة قبائل البلطيق فتتخذ لها مسرحا أرض زيلند وجوتلند وخليج البلطيق الذى يفصلهما .

حكم زيلند [1] — في الماضي السحيق — الملك روثجار Hrothgar وكان أبدا مظفراً في حروبه ، ظاهرا في غزواته ، تضفى عليه تلك اسما عريضاً ، وتدر عليه هذه أسلاباً وغنائم ، حتى إذا أتخمه الخير ، وفاضت خزائنه غنى ، ابتنى له ولفرسانه قصرا منيفاً Heorot جميل الأبهاء فسيح الأرجاء ، موشى الجوانب مستفيض الرونق ، يقيمون فيه نهارهم لاهين فرحين ، وليلهم قاصفين ثملين — وإلا فمن أولى من الأبطال الميامين بساعات تروح عنهم أكلاف الحرب وأثقال النزال ؟

قام القصر على أرباض شاطئ رملى ، ينداح حتى ينتهي إلى مجاهل موحشة ، تتاخم أغوار الماء حيث يقيم المارد جرندل Grendel المخيف في رفقة أمه ، وكان الفرح والنور أعدى أعداء ذلك المارد ؛ جرى في دمه بغض متأصل لهما ، ما يكاد ينفذ إلى حواسه منهما دبيب أو بريق ، حتى يثور داؤه ، وحتى يود لو التهم هذا القصر الذى ما عرفت حياته غير الفرح والنور ، وبعث به إلى فمه لقمة تنساغ بالبرد والراحة إلى جوفه . وبيّت أمراً ما زال يتربص له الفرص متلصصاً حول القصر ، حتى إذا آنس من أهله غفلة ران بها عليهم كرى ثقيل ، وذبلت الأضواء وخرس الصخب ، انساب إلى القصر خفياً ، ثم كرّ عنه وفي قبضته ثلاثون فارسا . حتى إذا تنفس الصبح ألهب القصر شجيّ وأقام بأرجائه مناحة !

وتمضى اثنا عشر عاما قاسية مريرة ، يفجع فيها المارد قصر هيوروت Heorot في كل ليلة ، وينفلت سالما في كل مرة بضحاياه لا تطفأ له حفيظة أو يرد سغب ، حتى أوشك القصر أن يقفر من رجاله ، وحتى تهاوى الملك روثجار منحدرا إلى الضعف والهرم ، يثقله الحزن وتتلقفه الفواجع وترامت الأنباء وملك الأسى كل قلب ، حزنا على ذلك الملك المجيد ، وعلى ما ألم به من مصائب لا تكاد تبين !

وفي قصر هايجلاك Hygelac ملك جوتلند ، حيث يعيش قريبه الفتى بيوولف Beowulf ترددت أنباء الفجيعة ، فدلفت من أسماع الفتى إلى قلبه ، وحركت فيه توقا إلى ملابسة هذا المشهد ، وإلى الاستمتاع بمصارعة ذلك المارد ، الذى طغى وطغى حتى لا مزيد على طغيانه . كان فتى خارق القوة ، يختزن كفه بأس ثلاثين رجلا ، يملك على نفسه حب المخاطرة سعيا وراء الاسم ونشوة النصر ، وفي خمسة عشر من صفوة رجاله احتواه السفين فجرا ، ميمما مملكة زيلند ، حتى طالعتهم صخورها تلتمع في أضواء الغسق الخفيفة في فجر اليوم التالى . وقابلهم حارس الشاطئ في شك ، وما تم أن صحبهم إلى القصر كما طلبوا . وهنالك على الأبواب ألقوا بتروسهم ومزاريقهم ، وخفوا إلى لقاء الملك في خوذاتهم الذهبية ، وقد زادتهم بهاء وروعة « ودب إلى روثجار بمرآهم دبيب الصبا وعاودته أحلام الفتوة » وأفضى إليه بيوولف أنه جاء في طلب المارد ، عله يريح الشعب الصديق من شره وأذاه . ورحب الملك بمعونته شاكرا . ودوّت أبهاء القصر مرحبة بالضيوف البواسل ، ومضى النهار وشطر من الليل في قصف وشراب وغناء ورقص . حتى إذا دنا موعد قدوم المارد تسلل كلٌّ إلى فراشه وخلا البهو لبيوولف ، يلتفع الظلال ويتخفى بها متحفزاً للقاء معداً له عدته

برز المارد من مكمنه فما هي إلا أن ولج باب القصر ، حتى

(١) عربت هذا الملخص في قليل من التصرف عن الستر . ج لوجي روبرتسون .

احتواه بهوه ، تومض عيناه شررا ، وتنطلق ضحكاته عريضة ، وقد وجد سبيله ممهدا ؛ فالكل غاف مستغرق . وتناول أقرب النوّام إليه فعبّ دمه ثم التهمه ، ودار إلى فريسة أخرى ، وإذا بقبضة بيوولف الجبارة تشل ساعده . أذهلته الفجاءة ، ولكنه ما لبث أن أفاق إلى صراع عنيف مع بيوولف ـ واهتز القصر تحت أقدامهما ، وتهاوت السرر ، وتحطمت المقاعد ، وفزع النوّام على ذلك المشهد المروع . وجاهد المارد طويلا واستجمع بطشه ، لا ليحطم بيوولف كعهده ببني البشر ، وإنما ليفتنع بالافلات تاركا لقبضته كتفاً مخلوعا وذراعاً مفصولا !

وجاء الفجر ، فخرج بيوولف برجاله فى أثر دمائه المنزوفة ، وهنالك على الشاطئ طالعهم الماء أحمر قانيا وقد صبغه الدم المسفوك ، فأيقنوا أن المارد قد ودّع الحياة إلى القاع قبرا يطويه ، فلا نشور له ولا رجعى . فيا للفرح يثير البلاد ويملك عليها المشاعر ! ويا لبيوولف يخب فى الخلع ، وتثقله الجوائز !

استطاعت الأجفان أن تطعم النوم فى ليلتها تلك ، ولكنها نامت عن أم ثكلى ، قرّح الدمع أجفانها ، وتحلبت شفتاها قرماً ، وعصف بها طلب الثأر . وفى هدأة الليل هاجمت أم المارد القصر ، وأهله تستغرقهم أحلام النصر ، ومضت عنه ومعها ذراع ابنها وأحد النبلاء انتقاماً للقتيل ، وإرواء لهامته ! وهب الغافلون فزعاً فاذا بها تمضى إلى وكرها كالريح الخاطف ، الأمر الذى أحنق بيوولف فأقسم ليلحقنها بابنها وشيكا

خرج بيوولف برجاله صباحاً يقتصون أثرها ، ويذرعون تلك المجاهل الموحشة ، فاذا بها أرض عذراء تكتنفها الخوانق ، وتقطعها الأخاديد ، وترقشها برك ومستنقعات آسنة ، تعج بحياتها وثعابينها ، يتحدر عليها الماء من شعب خفية فى الصخور ، فكأنه ينضح عن مزن ملئ وسحاب عامر ، ثم تغوص هذه البرك مدومة إلى كهوف غائرة ، بينا تلتهب هنا وهنالك — على سطح الماء — نيران خاطفة غريبة . « فلو أن قنيصة أنهكها الطراد ، وحوم على عنقها الشرك ، رأت فى أكنافها خلاصاً من موت محقق ، لآثرت عليها ذلك الموت ، ولوجدت فى ورده مشرعاً أعذب من وردها ! » وإذ وصلوا فى تطوافهم الى حيث صرع جرندل المارد بالأمس تخضب الماء بدمه ، رأوا الصخور تعمر أحجارها بنفر من الجن ، وخف بيوولف إلى قوسه فأردى بسهم منها واحدا من هذا النفر — ثم استل سيفه الماضى Hrunting وغاص بعيدا بعيدا إلى الأعماق فى أثر الجن الغائص هرباً . ظل بيوولف على غوصه يوماً كاملا ، حتى إذا قارب القاع أطبقت عليه أم المارد — وكان خلقها وسطاً بين الانسان والذئب — ثم حملته إلى كهفها ، حيث ثار بينهما نضال لم يغن فيه سيفه ولم ينل من لحمها الصفيق العضب ، وإنما أجدى عليه كفّه الجبار يمسك الجنيّة فلا تحير منه خلاصاً ، وواتته الفرصة فلمح سيفاً حديدا من سيوف المردة ، سرعان ما خطفه وأهوى به على رأسها فعزله . وأدار بيوولف بصره فاذا جثة المارد صريع الأمس — انى لا روح فيها ، وبالسيف الذى أودى بالأم فصل به رأس الابن ، وسبح بيوولف بالرأسين — مخلفاً وراءه كنوزا لم يابه لألاؤها — ومازال يعلو إلى السطح ورأس المارد ينزف دماً ، حتى صبغ الماء ، وملأ قلوب رفاقه عليه فزعاً ، وقد طاف بهم أن دمه هو ذاك الذى خالط الماء ومازجه . وما كان أروع اللقاء وقد برز اليهم سالماً صحيحاً ! وحمل الرفاق رأس المارد ورأس أمه وألقوا بهما تحت أقدام الملك ، واستأذنه بيوولف فى الرحيل قائلا : « آن لك أيها الملك أن تهدأ بالا ، وأن يعرف النوم سبيله إلى عيون فرسانك » وانقلبت البلاد إلى شعلة من الفرح ، وأقلع بيوولف فى عصبته إلى جوتلند ، تنوء رحالهم بالهدايا ، وتسير بذكرهم الركبان

وأتى حين بعد ذلك سمى فيه عرش جوتلند إلى بيوولف ، واعتلى تاجها رأسه ، فحكم شعبه خمسين عاما عادلا شجاعا ، لا يمل الغزو والجلاد . وكان آخر عهده بهما خروجه لقتال مارد مخيف أقام فى كهف من الكهوف يحرس فيه كنزا نادراً . وفعلت قبضة بيوولف فعلها فى المارد فأوردته الردى ، إلا أن حرّ أنفاس الجنى أتلفت جسمه ، ونفذت إلى دمه فسممته ، نتيجة لاشتباكهما فى صراع عنيف طويل ، واحتواه بعدها فراش السقم حيث غلبه الداء ومات . وعلى صخرة عالية يستشرفها البحر ، وتشرئب إليها المروج الخضراء ، أقام أهل جوتلند نصباً من خشب الصنوبر الثمين ، علقت عليه الدوع ، ورفت عليه السيوف ، مثوى لجثمان مليكهم العزيز . وتنفيذاً لوصية بيوولف أضرموا النار تلتهم النصب ووديعته ، وتلاشت من أمام أعينهم رويدا رويدا صورة مليكهم الدنيوية ، حيث وجدت طريقها إلى السماء على ألسنة اللهب الصاعدة مع الهواء !

حسن عبد الحليم اليمانى

مكانة مصر في المغرب العربي

للأستاذ محمد السعيد الزاهري

يشاع اليوم في الجزائر أن الآنسة أم كلثوم قد أزمعت أن تقوم بسياحة في بلاد المغرب وأن حكومة مراكش قد رفضت أن تسمح لها بدخول المغرب الأقصى . قالوا ولذلك عدلت الآنسة عن زيارة المغربين الآخرين (الجزائر وتونس) وهذه هي المرة الرابعة التي نسمع فيها هذه الاشاعة تتردّد في أرجاء المغرب العربي وتكون مشغلة الرأى العام فيه ويهتم لها الناس ويتنذهبون في شرحها والتعليق عليها بمختلف الآراء والأقوال : فهذا يقول لقد أحسنت السلطات بذلك إلى أهل مراكش ووفرت عليهم أعراضهم وأموالهم بمنع المطربة المصرية من دخول هذه البلاد ، إذ لو أن هذه الآنسة زارت مراكش لملكت على أهليها قلوبهم وأهواءهم ، ولذهبت بعقولهم وألبابهم ، واستولت على أموالهم وعلى ما كسبت أيديهم ، ولكانت عليهم في الآخر نكبة مالية كبرى لا تقل في فداحتها وقسوتها عن هذه الضائقة العاتية التي أهلكت الزرع والضرع وأخذت بمخانق الدنيا كلها ؛ وذلك يقول لقد ضيّقت السلطة بذلك على المغاربة حريتهم الشخصية ومنعتهم مما تهوى إليه أفئدتهم وحالت بينهم وبين ما يشتهون ؛ وهنالك آخر يقول غير هذا

ومهما اختلف الناس في تفسير هذه الاشاعة وفي تأويلها فانها تدل على شيء واحد وهو أن هذه الآنسة قد غزت بصوتها الملائكي الطروب قلوب هؤلاء الناس ، وأن منزلتها في بلاد المغرب العربي لا تقل عنها في مصر ، وأن المغاربة يتذوقون فنها وغناءها كما يتذوقهما المصريون

قالت مجلة «السلام» الغراء التي كانت تصدر في مدينة تطوان في بعض أعدادها إن المغاربة مولعون بالموسيقى المصرية وبالتلحين المصري إلى حد الهيام ، حتى أن العواتق في خدورهن ليهتفن بأم كلثوم ويترنمن بألحانها وأغانيها . ولقد رأينا بعض المراكشيين المشهورين بالتديّن والصلاح قد طرب وانشرح ونسى أنه من أهل الورع والتقوى ، ولم يزل به الطرب والانشراح حتى خرج عن رزانته ووقاره إلى حالة من العبث والطيش تشبه أن تكون جنوناً ، وذلك حين سمع في « الفونوغراف » صوتاً للأستاذ محمد عبد الوهاب . ولا تجد في المغرب الأقصى داراً فيها « فنوغراف » إلا وتجد كل اسطواناتها أو جلها مصرية لأم كلثوم وعبد الوهاب وسامى الشوا ومن إلى هؤلاء . وتباع الاسطوانات المصرية هنا بثمن مرتفع قد يفوق ثمنها الأصلى أضعافاً مضاعفة . ولقد مرت علينا أيام رأينا فيها أسطوانات أم كلثوم وعبد الوهاب تباع الواحدة منها بثلاثة جنيهات انكليزية قبل هبوط الاسترليني

والواقع أن الألحان والأغاني المغربيـة التي كانت إلى عهد قريب منتشرة شائعة في المغرب العربي قد اختفت اليوم من الميدان ، وتخلت عن مكانتها من الذوق المغربي العام لألحان مصر وأغانيها ، ولا نستثني هذا التراث الذي بقي بأيدينا من فن الأندلس وغنائها فقد تزحزح هو الآخر عن مكانه للغناء المصرى وترك له المجال واسعاً فسيحاً

ولما اعلنت الحـكومة المصرية أنها ستفتح في القاهرة محطة للاذاعة اللاسلـكية تهالك الناس في الجزائر وتونس ومراكش على أجهزة المذياع (الراديو) يشترونها ويقتنونها رجاء أن يستمتعوا بسماع ما تذيعه مصر من الأغاني والمحاضرات ، ولـكنهم عادوا فجعلوا يبيعون أجهزتهم ببعض قيمتها عند ما تبيّن لهم أن المحطة المصرية لم تكن محطة عالية يمكنهم سماعها

كل هذا دليل على أن الذوق العام في بلاد المغرب العربي هو نفس الذوق العام في مصر ليس بينهما شديد خلاف . ولعلّ تونس ومراكش هما أرق من هذه الناحية ، فالحياة فيهما مترفة ناعمة تؤثر الطرب والسماع ، وتميل إلى اللهو والاستمتاع ، بخلاف الجزائر فانها عريقة في البداوة ، مطبقة الجهل والأمية ، لا تزال تغلب عليها حياة المشائر الأولى ، تشعر القبيلة فيها بأنها قبيلة وكفى ، وقلما تشعر بأنها شعبة من الجزائر فضلا عن أن تشعر بأنها من الأمة المغربية أو الأمة العربية الـكبرى . ولعل مدينة وهران قد ضربت الرقم القياسى في البداوة والأمية وفي البُعد عن العالم العربي دون أنحاء الجزائر كلها ، ومع ذلك فكل مقهى من مقاهيها ، وكل بيت عربي فيها ، فيه « فونوغراف » لا يخلو من الاسطوانات المصرية ، وإننا لنسمع فيها الأنغام الساذجة البسـيطة التي تحاكى رسيم

النجائب وخَبَب الجياد إلى جانب الفن والابداع فى أنغام أم كلثوم وعبد الوهاب

ولما عرض فيها للمرة الأولى الشريط المصرى « أنشودة الفؤاد » أقبل عليه هذا الجمهور العربى فى وهران إقبالاً منقطع النظير طيلة ثلاثة أسابيع ، وبعد بضعة أشهر عُرِضَ المرة الثانية واستمر عرضه ثلاثة أسابيع أخرى فكان الناس إلى الحفلة الأخيرة يتدافعون إليه بحماسة وشوق لا نظير لهما حتى أن منهم من شاهده عشر مرات !

وعند ما أزمعت فرقة مصرية للتمثيل الهزلى أن تقوم برحلة فى بلاد المغرب قالت عنها جريدة مصرية محترمة إنها ستبوء بالفشل الذريع ، وستقنع من الغنيمة بالاياب ، أو أنها على الأقل ستكابد فى مهمتها ألوانا من المشقة والعناء ما لم تترجم مسرحياتها من اللغة المصرية إلى اللغات المغربية . وقامت هذه الفرقة برحلتها ونجحت فى مهمتها نجاحا باهرا لم يكن يخطر لها على بال ، وتذوق المغاربة رواياتها وفكاهاتها وأدركوا مغزى « النكتة » المصرية من ملهياتها من غير أن تضطر إلى ترجمة كلمة مصرية واحدة إلى اللغات المغربية ؛ وبعبارة أخرى إن هذه الفرقة وجدت نفسها فى بيئة عربية مغربية لا تختلف عن مصر إلا كما تختلف الهيئة المصرية نفسها باختلاف المديريات والأقاليم ، ووجدت أن كل ما يقال من وجود لغة مصرية ولغات مغربية هو من الأوهام الباطلة التى لا أصل لها ، وإنما يوجد لسان عربى واحد تتكلمه الشعوب العربية (مصر وأخواتها) بلهجات تختلف اختلافا لا يحول دون التفاهم بين الناطقين بالضاد ، ولا توجد فى الدنيا لغة إلا ولها لهجات تختلف فيما بينها اختلافا كثيرا أو قليلا

وكثير من الغربيين من يعتقدون أن الشعوب العربية تتكلم اليوم لغات مختلفة متباعدة فيما بينها ، وبعيدة كل البعد عن العربية الفصحى التى أصبحت فى نظرهم لغة موتا . كما أن الشعوب اللاتينية تتكلم اليوم لغات متباعدة فيما بينها جدا حتى لا يمكن للفرنسى أن يفهم الاسبانية أو الايطالية دون أن يتعلمها ، وهذه اللغات هى الآن بعيدة عن اللغة اللاتينية التى هى أصلها

وفى هذه الأيام نشرت صحيفة فرنسية تصدر بالجزائر مقالا عن الحج إلى بيت الله الحرام عنوانه : « اللغة الفرنسية فى مؤتمر مكة » زعم فيه كاتبه أن حجاج الجزائر ومراكش وتونس وطرابلس ومصر وسوريا ولبنان وفلسطين والعراق سيتفاهمون فى « مؤتمر مكة » لهذا العام باللغة الفرنسية ، لأن لكل فئة من هؤلاء الحجاج لغة قومية لا يفهمها الآخرون ، ولأن الفرنسية منتشرة بين جميع الطبقات فى هذه الأقطار . وأبى أن يرجع إلى الصواب إلا بعد أن رأى بعينيه وسمع بأذنيه بحارة مصريين يتحادثون مع بعض العملة الجزائريين والمراكشين من غير أن يكون بينهم ترجمان !

وكان عالم فرنسى من علماء المشرقيات جاء بلاد المغرب مندوباً من وزارة المعارف الفرنسية لدرس اللهجات العامية المغربية ، فلبث فى هذه البلاد يبحث ويدرس ويستقرئ ، ثم رفع إلى الوزارة تقريرا بالنتائج التى انتهى اليها فى دراسته وأبحاثه ، ونشر هذا التقرير واطلعنا عليه فاذا هو مملوء بالأغاليط والأضاحيك ، فقد زعم فيه أن عربياً تونسياً تزوج فتاة عربية من بجاية (الجزائر) فلم يستطع الزوجان أن يتفاهما — لتباعد لغتيهما القوميتين — إلا بالفرنسية التى لم تكن تلم بها الزوجة إلا إلماماً قليلا . والحق أن هذا التقرير هو دعوة صريحة إلى إيجاد فروق بين اللهجات المغربية وإلى تجسيم ما يكون منها موجودا بالفعل

وحدثنى ذات يوم فنان فرنسى قال : « كنت أعتقد أنه لا بد أن يأتى يوم على المغاربة يصيرون فيه فرنسيساً خُلَّصاً من حيث تذوق الفن والشعور بالجمال ، غير أنى رجعت الآن عن اعتقادى هذا ، فقد مضى على فرنسا فى الجزائر مائة وبضع سنين لم تستطع أثناءها أن تحمل العرب الجزائريين يقبلون على الأفلام الفرنسية ، أو يطربون لسماع عازف فرنسى مهما كان محسناً بارعاً ، أو يتذوقون غناء فرنسياً مهما كان منسجماً ساحرا يستهوى القلوب ويأسر الألباب ، على حين نرى المغاربة جميعاً يقبلون الاقبال الذى لا نظير له على الأفلام المصرية وتستهويهم مصر بأنغامها وأغانيها ، ويعجبون الاعجاب كله بالفنانين المصريين » . ثم قال : « ولقد راعنى اقبال هؤلاء الناس على شريط الوردة البيضاء وتهالكهم على مشاهدته ، فشاهدته أنا أيضاً ، ولكننى لم أجد فى هذا الشريط ما يعجبنى ، على أن جميع من فى المسرح كانوا

يشاهدون عبد الوهاب وكأنما هو ملك كريم قد هبط اليهم من السماء ، وينصتون لصوته وكأنما هو نغم إلهى يتنزل عليهم من الملأ الأعلى »

ومامن شيء له أثر فى حياة المغرب العقلية أو الاجتماعية إلا وهو مصرى غالباً ، فمثلا كتاب « مختصر خليل » فى الفقه الاسلامى على مذهب الامام مالك بن أنس هو كتاب مصرى قد جعل أفئدة من الناس فى المغرب تهوى إلى مصر ، له منزلة سامية فى قلوب المغاربة يخصونه بكثير من التقديس والاحترام ، ومنهم من يتعبدون بتلاوته كما يتعبدون بتلاوة القرآن الكريم ؛ ولم يعد خافياً أمر ذلك الفقيه المرحوم الذى كان يصلى « النافلة » بهذا الكتاب ويقوم به الليل عابدا متهجدا ؛ ولا أذيع سرا حين أقول إن هذا « المختصر » لا يزال له إلى الآن فى كلية القرويين بفاس «حزّابة» كما للقرآن « حزابة » ، وهم يتقاضون أجورا أوفر وأسنى مما يتقضاه « حزابة » القرآن العظيم ؛ ولتلاوته هذه الراتبة أوقاف كما لتلاوة القرآن أوقاف . وفى بلاد المغرب طبقة من المحافظين يقولون عن أنفسهم إنهم « خليليون » ، وأهل المغرب جميعاً هم مالكية ماعدا وادى ميزاب بالجنوب الجزائرى وجربة بالقطر التونسى ، فانأكثر أهلهما أباضية ، ولكنهم قليلون جدا فعددهم لا يتجاوز الخمسين ألفا ، بينما تَمُدّ الجزائر وتونس ومراكش من الأنفس خمسة عشر مليوناً يجلون هذا الكتاب ويرفعونه إلى أعلى مقام ، حتى النساء فى خدورهن لا يفصل الخصومات التى تثور بينهن إلا الحلف بهذا الكتاب !

ولا يزال المغاربة ينظرون بعين الاعتبار إلى كل من طلب العلم بالأزهر الشريف ، ولو أنه كان قليل التحصيل ، ويعترفون بالفضل لكل من أقام فى مصر أو رآها

وفى بلاد المغرب طرق صوفية منتشرة بين سائر الطبقات لها أكبر الأثر فى العقائد والأخلاق ، وأكثر هذه الطرق مستمد من الشيخ البكرى المصرى ، فأتباع هذه الطرق ومريدوها يحبون البكرى ويرون لهم فيه « الشيخ الممد » فيرفعونه فوق كل الاعتبارات

وما أنت بواجد ولا مغربياً واحدا إلا وهو يحفظ كثيرا أو قليلا من شعر ابن الفارض الصوفى المصرى المشهور

وكل حركة دينية أو أدبية فى مصر لها صداها القوىّ فى هذا المغرب العربى ، فللأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده المصرى أنصار ومريدون . وفكرة الاصلاح الاسلامى التى كان يدعو اليها أصبحت اليوم فى الجزائر مذهباً اجتماعياً تعتنقه الكثرة الكثيفة من الناس وتقوده « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » . وكل أديب كبير فى مصر له أنصار وأشياع فى بلاد المغرب ، فللأديب الامام الأستاذ مصطفى صادق الرافعى أنصار ومعجبون وهو أكثر الأدباء المصريين تلامذةً وقراءً فى هذه البلاد . وللمرحوم قاسم أمين أنصار يدعون المغربيات إلى السفور وترك الحجاب ، غير أن دعوتهم لم تجد ملبّياً ولا مجيبا فأخفقت إخفاقا شديدا . وللزعماء المصريين منازلهم من قلوب الناس هنا . والمطبوعات المصرية تحتل المقام الأول عندنا ، سواء فى ذلك الصحف والكتب والمجلات . والصحف المغربية لكثرة ما تروى عن مصر وما تنشر من أخبارها تكاد تكون طبعات مغربية لزميلاتها المصريات . على أن هذه الصحف المصرية الكبرى لا تهتم لبلاد المغرب إلا قليلا ، ولا تتكلم عنها إلاّ كما تتكلم عن مجهل من المجاهل التى لم تطأها قدم إنسان ، فمن خاط فى أسماء المدن المشهورة بالمغرب وفى أسماء الأشخاص البارزين الى حوادث تحوكها عن المغرب وتخبط فيها خبط عشواء

ويقول الشبان المغاربة الذين يطلبون العلم فى جامعات فرنسا انهم تعرفوا الى الطلبة السوريين فعرفوا فيهم العروبة والاعتزاز بها ووجدوا منهم إخوانهم وذوى قرباهم ، وتعرفوا الى الطلبة المصريين فعرفوا فيهم رقة الشمائل ودماثة الأخلاق وما شئت من لطف وأدب ، وأنكروا منهم هذه «الفرعونية» الجافية التى تحملنا وإياهم كما قال شاعر العروبة الأستاذ ابراهيم طوقان :

أحب مصر ولكن مصر راغبة ... عني فتعرض من حين إلى حين

إن تاريخ هذه البلاد حافل بالشواهد والبينات على أن المغرب يرتبط بمصر منذ العصر الحجرى بكثير من روابط النسب والحضارة والدين

وإن الذى هو ما بيننا ... وما بين مصر لمحض النسب
رباط العروبة يجمعنا ... ويجمعنا ديننا والحسب

ولكن هل يمكن أن يبعث من جديد ما كان بين المغرب ومصر من الروابط وصلات القربى ؟

وهران (الجزائر) ... محمد السعيد الزاهرى

رسائل حاج

من ربوع الغرب إلى بلاد العرب

للمستشرق المجرى
الدكتور عبد الكريم جرمانوس
أستاذ التاريخ بجامعة بودابست


الدكتور جرمانوس فى لباس عربى

لثلاثين عاماً خلت وأمنيتى الوحيدة الاشتراك فى موكب الحجيج والذهاب إلى مكة ، حيث بزغ فجر الاسلام ، وانتشرت دعوة النبى الكريم وتعاليمه المقدسة . وقد انبثق فى نفسى هذا الشعور إثر مشاهدتى رسوماً فوتوغرافية نشرت فى إحدى الصحف الأوربية الكبرى عن سياحة قام بها أحد الرحالين وتحدث فيها عن عجائب الشرق حيث تسطع الشمس طول النهار ، ويريق القمر أشعته الفضية فوق رمال الصحراء فى الليل

وكان الأثر الذى تركته هذه الرسوم والمناظر الفتانة عميقاً فى نفسى ، وباعثاً لاقبالى على تعلم اللغة التركية ، وعلى زيارة الشرق مهد الديانات الحديثة ومهبط الوحى المقدس

ولكن الأمور جرت فى شىء من البطء ، أى أكثر مما تخيلته فى البدء ، فمشاغل الحياة والواجبات اليومية الملقاة على عاتقى وقفت عقبة فى سبيل تحقيق تلك الأحلام الذهبية التى تطوف بذهنى وتجذبنى نحو الاسلام . . . وأخيراً دعيت إلى زيارة الهند حيث قضيت بين ربوعها سنوات ثلاثا لالقاء محاضرات من التاريخ فى جامعاتها ، وهناك اعتنقت الدين الاسلامى فى مسجد دلهى العظيم ، ومن تلك الساعة أحسست من أعماق روحى بأننى أقترب من الغاية التى أرنو اليها بحيث يصبح فى مكنتى الطواف بالبقاع الاسلامية المقدسة فى مكة ، والتعريج على المدينة مقر القبر النبوى الطاهر ومثوى سيد الخلق . . . .

ولكن كيف أذهب إلى الحج وأنا لا أعرف من العربية حرفاً واحدا ؟ .... كيف أدرس « أم اللغات » وأنا فى أوربا وبالأخص فى بلاد نائية كالمجر لا يوجد بها من يتكلم بهذه اللغة التى هى فى نظرى أصعب من تعلم أربع لغات أوربية معاً ! ! ؟ وتلك لعمرى كانت من أقوى العقبات التى وقفت حائلا بينى وبين تنفيذ رغبتى أو تحقيق أمنيتى فى حينها

على أنه كان لى من قوة الايمان وثبات اليقين ما دفعنى إلى الاقبال على تعلم هذه اللغة مهما بلغت العقبات وقامت الصعاب ، فبدأت أولا أدرس العربية بدون معلم وبواسطة كتب حصلت عليها من المكتبات الأوربية ، ثم عكفت على قراءة القرآن الشريف بمساعدة المعاجم اللغوية ، وحفظت عن ظهر قلب معانى الكلمات المبهمة والألفاظ المعقدة ، وتابعت السير على هذه الخطة عدة شهور إلى أن أصبحت بفضل الله ورعايته ملماً باصولها . وفى خلال شهور الصيف أخذت أطالع قصص « ألف ليلة وليلة » والمعجم إلى جانبى ، وكثيراً ما لاقيت صعابا كادت تفت فى عضدى وتوهن من قواى ، كالشعر الجاهلى الذى كان يبدو على الرغم من جماله وموسيقاه مبهما معقدا ، فكنت من حين لآخر أقذف بالكتاب جانبا وقد قر فى عزمى ألا أعود اليه مرة أخرى ليأسى من التقدم

وبمرور الزمان انتصرت على جميع الصعاب ، ورحت أتفهم العربية فى شىء من السهولة واليسر ، مع أننى لم أسمع فى حياتى صوت متكلم بها ؛ ولما أيقنت مقدار ما تبطنه الظروف وأن هناك بعض النقص فى إلمامى بالأدب العربى والشريعة السمحاء صممت قبل الشروع فى زيارة البقاع الاسلامية المقدسة على أن أقيم فترة طويلة من الزمن فى مصر حيث الأزهر الشريف مركز الثقافة الاسلامية ومحط العلماء

وفى الواقع كنت أسعد مخلوق فى العالم عند ما ألفيت نفسى أدخر مبلغا من المال يساعدنى على أن أطيل إقامتى على ضفاف النيل السعيد مهد المدنية والسلام

وعند ما وطئت قدماى أرض القاهرة قوبلت بحفاوة عظيمة

من جانب أدباء مصر وصحفييها وغيرهم ممن مهدوا السبيل أمامي لاستكمال نواحي دراستي في الأدب العربي ، والتعمق في شعاب الدين الحنيف ، بحيث أصبح قادراً على صد هجمات كل من تسول له نفسه الافتراء أو التشويه من عظمة الاسلام في أوربا

وكانت فكرتي مقترنة دائماً بأن أدرس العربية دراسة جامعية لا دراسة هواية ، شأن كثير من المترفين ممن يعكفون على تعلم اللغات لغرض السياحة أو بقصد القراءة الخفيفة المسلية ؛ وكنت أرمي من وراء دراستي الى القيام بخدمة الاسلام والمسلمين الذين وقعوا تحت نير الاستعمار الأوربي منذ قرون ؛ وقد كانت هذه الغاية من أقوى العوامل التي دفعتني للتقرب من المسلمين في الهند وتركيا ومصر . وإن أنس لا أنس الظروف التي لاقيت فيها كثيراً من فقراء المسلمين الهنود ، وهم يعيشون في بطون أكواخهم المشيدة من القش ، ويستضيئون بأنوار الاسلام فتتحول تلك الأكواخ في أنظارهم إلى قصور وجنات بحيث يحتقرون مظاهر الجاه والثروة ويطأونها تحت أقدامهم

فالقرآن هو المثل الأعلى لتوجيه الانسان إلى الطريق السوي الذي يحتم على كل مسلم غيور ألا يحيد عنه قيد شعرة ؛ والمسلم الذي لم تعم بصيرته عن تلك الحقائق ويفقه تعاليم دينه فقهاً صحيحاً يرى أن القبس الروحي يتأجج في قلوب المسلمين جميعاً ممن لا ينكصون عن التضحية وبذل الواجب ، والذين يفنون ذواتهم في ذات الغرض الاسمي ، ويأخذون على عواتقهم التغلب على كل أمر والتجول في أنحاء العالم لنشر الدعوة وإظهار فضائل دينهم ومحاسنه

والواقع أننا قد نجد بعض مظاهر هذه القوة في الايمان عند بعض الأمم الأجنبية الأخرى ، لكنني ألفيت في قلوب إخواني المسلمين كنوزا تفوق في قيمتها الذهب والأحجار الكريمة ؛ ولقد عاشرت مسلمين فقراء كانوا لا يحجمون عن أن يقاسموا رفاقهم آخر كسرة يملكونها من الخبز . . . كم استضافوني في بيوتهم المتواضعة وأعطوني أعظم شيء في الوجود ! . . إنهم منحوني إحساس الحب والتآخي ، ولقنوني عمل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعند ما أطلقوني من ضيافتهم فاهوا بحكمة نبيهم الكريم : « اطلبوا العلم ولو في الصين »

***

وعقب وصولي القاهرة قصدت فوراً للأقامة في الحي الوطني المعروف « بسيدنا الحسين » ، لكنني لم أوفق للحصول على سكن ملائم

لقد كنت في خلال إقامتي الطويلة بتركيا أقطن في غرفة رحبة مؤثثة بالطنافس الوثيرة والرياش الفخم ، وكنت أتناول أنخر الماآكل الشرقية وأشهاها ؛ فمن مظاهر الحياة الاسلامية فن الطهي ، إذ يؤثر عن النبي الكريم أنه كان يحث الناس على العناية بمسائل الطعام وبالذبيح المحلل ، ولا تخفى الفائدة من وراء ذلك ، فاتباع الطرق الصحية ووسائل النظافة والعناية باللحم مما يزيد في صحة الأجسام ومناعتها

كانت آمالي إذن قبل القدوم الى القاهرة أن أقيم في بيت من تلك البيوت العربية الطراز ، وبين قوم يرتدون اللباس الشرقي الفضفاض ويتناولون الطعام بأيديهم ، ولكن ليس كل ما يتمني المرء يدركه ، فانني لم أوفق في الحصول على سكن ملائم ، فاضطررت الى الاقامة في نُزل أوربي

ولكم تألمت إذ ألفيت أهل القاهرة لا يلبسون الثياب الشرقية المزركشة ، ويستبدلون بالقفطان والعمامة شمار الاسلام — الأزياء الأوربية ، كما راعني في البيوت المصرية التي زرتها خلوها من الأثاث الشرقي ، وأن أحد الشباب المصري يوجه عناية خاصة للالمام بأنواع الثقافات الأوربية المتعددة ، ويفرطون في جانب لغتهم وقوميتهم ودينهم ! !

ولقد قال أحد أصدقائي المصريين في معرض حديث له معي : « يستحيل علينا أن نعود الى تلك الأثواب الطويلة المهلهلة عند ما نبغي الصعود الى المركبات أو عربات الترام »

ولكني رأيت كثيراً من الناس يرتدون تلك الأثواب وما كان أجملهم في نظري وهم يتسلقون الترام أو السيارة بكل خفة ورشاقة

والواقع أن تلك الملابس أفضل بكثير من الأثواب الأوربية الضيقة ، ولاسيما القبعات التي نضطر إلى أن نحملها بين أيدينا عند ما نجلس أو نزور أو نحيي أحداً

ومن رأيي أن الحصول على الأثاث الشرقي واللباس العربي والتطبع بالعادات الشرقية أمور يسهل اتباعها في القرن العشرين من غير أن يفقد المصريون خصائصهم ومميزاتهم ، أضف إلى ذلك أن إحياء الصناعات القومية وإنعاش حال الأسواق الشرقية

٤ ـ سكان أعالى النيل

بقلم رشوان احمد صادق

وكان أهم ما يميز الملك والمدير أن كلا منهما قادر على التكهن فى الفصل فى الخصومات oracles وكذلك فى الأمور القانونية ، فكل الأمور التى تؤدى الى المنازعات مثل القتل والموت كل هذه كان يفصل فيها بواسطة التنجيم والتنبؤ ، وكانت هذه مصدر ربح عظيم للأسرة المالكة

والملك هو مصدر القانون وهو مطلق التصرف ، فله الحق أن يقتل من شاء حسب إرادته ، فسلطته استبدادية . وجماعة الأزندى يكونون وحدة سياسية ، ومركز الفرد وسلامته واستغلاله لموارد بلاده الاقتصادية كل ذلك متوقف على قيامه بالواجب عليه نحو النائب والمدير والملك

وكل قبيلة تعرف باسم عميدها ، فمتى مات أو قتل تشتت أفرادها . والقبائل هنا ليس لها أى صبغة سياسية ولا اقتصادية ولكنها ذات صبغة دينية . فنظام القبائل مؤسس على النظام الطوطمى ، إذ لكل قبيلة حيوان تقدسه وتحرم على أفرادها أكل لحمه ، إذ يعتقدون أن أرواح موتاهم تنتقل إليه . والرجل واخوته وأنجالهم يسكنون سوياً على ضفة مجرى مائى ، ويعملون معاً فى الزراعة والصيد وغير ذلك من شؤون الحياة . ويهتمون بشؤون كل فرد منهم كما يشتركون فى الدفاع عن أى فرد يصيبه أذى منهم ؛ وأكبرهم سناً يقوم بالقاء الوعظ والأرشاد على الصغار

أما من حيث الزواج ، فاذا أراد الرجل أن يتزوج فعليه أن يعطى أقارب زوجته من عشرين الى أربعين حربة ، وهذه الحراب لا تشترى عاله الخاص ، بل يهديها إليه والده وأعمامه ، وهذا قد أدى الى توثيق صلة الابن بالأب والأعمام

ومن أهم المظاهر الاجتماعية الشائعة بين الأزندى ، والتى يهتم بها كل فرد فى مجتمع الأزندى سواء فى ذلك الملك والصعلوك هى مسألة الحسد ، تلك المسألة التى تلعب دوراً هاماً فى حياة الأزندى الاجتماعية ، فهم يعتقدون أن أناسا كثيرين يحملون فى معدتهم الحسد ، وهذا الداء ينتقل من شخص إلى آخر بواسطة الوراثة ، فالرجل الحسود أبناؤه الذكور حسودون ، وأما بناته فلسن كذلك ؛ والمرأة الحسود بناتها حاسدات وأبناؤها بعكس ذلك ؛ وكانوا يشقون بطون موتاهم لمعرفة ما إذا كانوا حسدة أم لا

وفى اعتقاد الأزندى أن السبب فى سوء الحظ هو الحسد ، فالمرض والموت وفشل الصيد وقلة المحصول كل ذلك سببه الحسد ، ولذلك عند حدوث شىء من هذا القبيل يبحثون عن الحاسد الذى سبب المرض أو غيره ، وبعد معرفته يخبرون الرئيس عنه وهذا يستدعيه إليه ويأمره أن يكف حسده وأذاه عنهم

والطريقة التى يستعملها الأزندى لمعرفة الحاسد هى طريقة التكهن أو التنجيم oracle . وأهم طريقة يستعملونها للتكهن هى الطريقة التى يسميها الأستاذ ريتشارد (بنج Benge) والتى يسميها الأستاذ سلجمان Poison - wood ordeal . وهذه تتلخص فيما يأتى : يحضرون بعض أنواع السم ويعطونه لدجاجة ويسألونها عند إعطائها هذه المادة عن الرجل الذى يشتبهون فى أنه هو الحاسد ، هل هو متهم أو برىء ؟ فان ماتت الدجاجة التى أكلت هذه المادة السامة فمعنى ذلك أن الرجل متهم ، وأنه هو الحاسد ، وأما اذا لم تمت فان الرجل برىء . فان أعيدت العملية مرات وكانت النتيجة ثابتة كان ذلك زيادة فى التأكيد ، فاذا مات رجل فان اسرته تبحث عن الحاسد الذى كان سبب موته فان عرفوه بطريقة التكهن السابقة الذكر فانهم يقتلونه أو يدفع

(يتبع)

متوقف على اقبال المصريين على عاداتهم الأصلية ، أما التقليد الأعمى والاتجاه شطر أوربا وترك الثقافة والتراث القومى جانباً فصفات يجب التخلى عنها

وليت الأمر وقف عند الحد الذى شرحته ، بل إن آمالى انهارت دفعة واحدة بمجرد أن زرت الأزهر وتفقدت الأروقة التى كثيراً ما قرأت عنها فى شبابى وتخيلتها فى أحلامى ، . . . فقاعد التدريس لا تزال كما كانت منذ ألف سنة ، وبرامج التعليم ناقصة وغير مستوفاة لشروط الثقافة الحق ؛ ولم أر فى الأزهر سوى خلية للحكمة وبث التعاليم الاسلامية وقشور من العلوم الحديثة ؛ أما المعاهد الدينية فهى نماذج مصغرة لجامعاتنا إذ أن هذا النوع من التعليم يقود الطلاب فى سبيل البحث والاستقصاء والتعلم

عبد الكريم جرمانوس

غرامة ، وهذه الغرامة تقدر بامرأة وعشرين حربة

وإذا قتل رجل فانه يحنط ، والمدبر مسئول عن البحث عن الحاسد الذى تسبب فى قتله وذلك بواسطة التكهن (Oracle) ولا يقوم بهذا العمل غيره

وأما فى الأحوال الأخرى التى تدل على سوء الحظ من مرض وغيره كما سبق شرحه فانهم يقومون بالبحث لمعرفة الحاسد بواسطة هذا النوع من التكهن ، فان عرف فانهم يخبرون النائب عنه حيث يستدعيه ويأمره بأن يكف أذاه وحسده عنهم

وهكذا يفصل فى كل الأمور القانونية والمشاكل الاجتماعية بواسطة التكهن ، والحكم الأوروبى الآن يرفض الاعتراف بمسألة التكهن الذى شرحناه على الوجه السالف . ولكن الأزندى تمكن من إيجاد مفر من تشديدات الأحكام الجديدة فلجأ إلى السحر ، فاذا مات شخص فان ذويه يحضرون ساحرا ليقوم بعمل السحر والتعاويذ اللازمة لهلاك من تسبب فى موته بواسطة الحسد . ثم ينتظرون أياما وأشهرا ليروا النتيجة ، فاذا سمعوا بموت أحد من جيرانهم أو من أعدائهم أو ممن يشتبهون فيهم فانهم يقومون بعمل التكهن بواسطة الدجاجة كما سبق ذكره ويسألونها فيما إذا كان هذا الشخص الذى مات هو الحاسد الذى أهلكه السحر أم لا

وهذه طريقة أخرى للتخلص من النظام الأوربى الجديد للانتقام من الشخص الذى يتخذ الحسد حرفة له

وللأزندى اهتمام كبير بزراعة الأرض بعكس (الزنوج النيليين أو الحامى النيلى الكثيرى الاهتمام بتربية الماشية) . فهم يهتمون بتنسيق حدائقهم ومزارعهم بشكل يستحق الاعجاب . وتبدأ الزراعة فى شهر مارس إذ يعدون الأرض فيزيلون بقايا الحشائش ويقومون ببعض الأعمال لتطهير الأرض . وأهم المحاصيل التى تزرع عندهم هى :

١) الذرة — تزرع فى مارس وتحصد فى يوليو

٢) الحبوب الزيتية { Grounb Nut / Grounb dean / Pea-Nut } تزرع فى ابريل ومايو وتحصد فى أغسطس وسبتمبر

٣) الذرة الرفيعة Millet (العويجة) تزرع فى يوليو وتحصد فى أكتوبر ونوفمبر وديسمبر

وعندهم نوعان من الدورة الزراعية : (١) الدورة الخماسية (٢) الدورة السنوية والأحادية . فأما الدورة الخماسية ، وتكون لمدة خمس سنوات ، فهى كما يأتى :

السنة الأولى تزرع ذرة رفيعة وحبوبا زيتية
« الثانية « « «
« الثالثة « « «
« الرابعة « حبوبا زيتية فقط
« الخامسة تترك الأرض للراحة (شراق)

وأما الدورة السنوية أو الأحادية فهى فى سنة واحدة حيث تزرع محصولان فى سنة واحدة : الذرة والبطاطة

ويلاحظ أن البطاطة تزرع كسماد وتترك فى الأرض بعض الأحيان .

والدورة الخماسية هى الدورة التى يتبعها الأزندى فى حديقة منزله أيضاً ، كما أن الذرة تزرع كسياج يحيط بمنزل الأزندى ويقوم مقام السياج الحديدى حول حدائقنا



« صورة تخطيطية لمنزل الأزندى »

والأستاذ سلجمان يقول إن الأزندى يعتقدون فى مخلوق عظيم يسمونه (مبول) ولكنهم لا يدعونه إلا عند الجفاف والقحط

ويقول إنهم يعتقدون أن الانسان بعد موته تخرج منه روحان : إحداهما تذهب إلى الحيوان الذى تقدسه القبيلة (الطوطم)

والروح الأخرى تذهب إلى القبر فتبقى فيه إلى حين ، ثم بعد ذلك تغادره إلى رأس مجرى مائى حيث تبقى مع أرواح أجدادها

وهم الآن يقومون بعملية الختان



« صورة تخطيطية لمنزل الزنوج النيليين »

الفروق فى الحياة الاجتماعية

لكل من الزنوج النيليين وأصحاب الرؤوس المتوسطة

الزنوج النيليون

رعاة

الماشية عماد الحياة

يزرعون الحبوب

ليس عندهم ضحايا بشرية

لا يأكلون لحوم البشر

الرجال عراة الأجسام وأحياناً يلبسون جلودا على الكتف

يزينون الشعر بأشكال مختلفة

النساء يرتدين نصف جلباب (ملكوف petticont) من الجلد يغطى النصف الأسفل من الجسم من الوسط حتى الركبة ويلبسن أساور من العاج فى أعلى العضد

بعضهم يخلع أسنانه الأمامية مثل النوير

ليس عندهم رؤساء الحكومات وهم ديمقراطيون يحترمون السحرة والمشعوذين ويأخذون رأيهم فى بعض الأمور والرابطة الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية مبنية على القرابة والجنسية

أصحاب الرؤوس المتوسطة (الأزندا)

زراع ويربون الدجاج

ليس عندهم ماشية

الزراعة هى أهم ما يحترفه السكان وكذلك الصيد

عندهم تضحيات بشرية } قلت الآن بعد الحكم الأوربى
كذلك أكل لحم البشر }

الرجال يرتدون جلد الأسد أو قميصا من الخيش أو الخوص أو سراويل . يضفرون شعورهم من منبت الشعر إلى الكتف ، ويلبسون قلنسوات من الخوص محلاة بريش الديكة

النساء يستترن بشبكة من ورق الشجر من الأمام والخلف تربط بحزام حول الوسط وأحيانا يرتدين (مريلة) ولا يستعملن الأساور المصنوعة من العاج إلا نادرا

لا يخلعون أسنانهم

حكومتهم منظمة لها صبغة سياسية ورؤساء سياسيون ، والرابطة العائلية قوية بينهم

رشوان احمد صادق

سليل القرد

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

عاش في الغاب القرد دهراً طويلا ... قبل أن يلتقي للرقيّ سبيلا
وُلد القردُ قبل مليون عام ... بشراً فارتقى قليلاً قليلا
إنما هذه الطبيعة في تَجْـ ... ـديدها للحياة ليست عجولا
أيّ شيءٍ ألمّ بالقرد حتى ... هجر الغابَ نجله والقبيلا
إنه لولا العقل كان ضعيفاً ... وعليه الحياةُ عبئاً ثقيلا
واقتنى فطنةً وكان غبيّا ... وابتنى عزةً وكان ذليلا
وعلى رجليه مشى بعد أن سا ... ر على أربعٍ زماناً طويلا
تخذ الصخرَ بعد نحتٍ سلاحاً ... يتّقي الوحش ضارياً أن يغولا
حادثٌ لم يرَ الزمانُ على الأر ... ض له في كل الدهور مثيلا
ليس انسانُ اليوم في كل أرض ... غيرَ قردٍ في وسعه أن يقولا
منح الدهرُ الأرضَ خيرَ وليّ ... وبه كان في القديم بخيلا
إنه في لقائه للضواري ... لم يكن خوّاراً ولا إجفيلا
إن عقل الانسان خيرُ سلاحٍ ... ولقد تفضل العقولُ العقولا

يا له من تطوّرٍ حوّلَ القر ... دَ لانسانٍ يُحسن التخييلا
سنةُ الله في النشوء على الأر ... ض فما إن ترى لها تبديلا
ليس من قدره يحطّ فيَخزَى ... إنه كان للقرود سليلا
ولقد فارق القبيلةَ إلاّ ... أنه ظلّ حبلُهُ موصولا
قبلَ إخلادِه لعائلة لم ... يك إلاّ عن نفسه مسؤولا
ولدته عروسة الغاب من قر ... دٍ جميل فكان قرداً جميلا

عاش أبناؤه دهوراً وما إن ... عرفوا تحريماً ولا تحليلا
بعد فجر الانسان كان غدوٌّ ... وأرى أن للغدوّ أصيلا
إن للشمس بعد كل شروق ... يملأ الأرضَ بالضياء أفولا
دُوَلٌ فوق الأرض ذات احتشام ... غير أني في خشية أن تدولا
إنني أخشى للنشوء انقلاباً ... فيعود الانسانُ قرداً كسولا
وإذا ما خلا من الناس وجهُ الـ ... أرض كان الخلوُّ خطباً جليلا
وإذا ما بالعكس عاشوا وجدّوا ... فسيمحون الموتَ حتى يزولا
وليأتي باسم السبرمان نسلٌ ... هو أرقى منهم وأهدى سبيلا
يتقصى كنه الطبيعة حتى ... ليس يبقى شيءٌ له مجهولا
انما في حياته الصدقُ دينٌ ... لا خداعاً يأتي ولا تضليلا
وترى فوق المنكبين له رأ ... ساً كبيراً وساعداً مفتولا
وعلى رأسه الكبير ترى شع ... راً أثيثاً تخاله إكليلا
وإذا ما أبصرت عند اللقاء الـ ... عينَ منه حسبتها قنديلا
وإذا ما تكاثروا حكموا الأر ... ض بعدل جبالها والسهولا
أخضعوا أصناف الأشعة حتى ... جعلوا منها للسماء رسولا

(بغداد) **جميل صدقي الزهاوي**

البعث !

للشاعر الحضرمي علي أحمد باكثير

مات الغرام وقد بكيتهْ ... ورثيته ما قد رثيتهْ
كفنته ودفنته ... وبدمعيَ القاني سقيته
وأبى الزمان يَصُوْرني ... عن ذكره حتى سلوته
يا ليت شعري ، كيف عا ... دَ إلى الحياة اليوم مَيْته ؟

* * *

أحببته عفَّ اللحا ... ظ سمعت عنه وما رأيته
كالخلد يرجوها أخو الـ ... تقوى ولم يرها ـ رجوته !
فكرت فيه فشاقني ... وثوى الفؤاد وما دعوته
وطفقت أعبد طيفه ... وأنا الذي بيدي بَرَيته !
بفمي اسمه ، أروى به ... ظمأ الفؤاد وما شفيته !
كالثلج فيه ، وكلما ... أمسسته قلبي كويته !
بيني الزمان وبينه ! ... وتجاورا بيتي وبيته ! !
سميته (لولا) مخا ... فة أن يساء وما كنيته

* * *

أوحى إلي وما درى ! ... وكتبت عنه وما نويته !
ماذا عليه لو صغا ... وعلى مسامعه تلوته !
وهمى على عيني سنا ... ه ، وسال في أذنَيّ صوته !

علي أحمد باكثير

الحرمان !

بقلم محمود حسن اسماعيل

أسدلت سترها ! وقالت: رويدا عابد الحسن ، واتئد فى صلاتك
غب قليلا عن العيون وأنشد خفقات الغرام فى خلواتك
إن همساً يرفُّ فى ساحة المعْـــبد أخشى ذيوعه من وشاتكْ !
غب قليلا وفى دمى لك عَهْدٌ أنا والحبُّ .. والمنىَ .. لحياتكْ
خمرتى شعرك العفيف ، ويا طُهْـرى إذا ما انتشيت من (كاساتك)
وجلالُ الهوى وقُدْس جمالى صبَوات نفحن من أغنياتكْ
رىُّ روحى إذا ظمئتُ خيالٌ مستطار يَرنُّ من أبياتك
فترنم ! فان روحىَ تصغى خلف أستارها الى نغماتك !

قلت : والنار فى دمى كيف تهدا إن حجبتِ الضياء من قسماتك
إن زادى من الحياة وميض رشفته العيون من بسماتك
فتنتى إن رنوت موجة نور أشرقت فى الجنان من نظراتك
كم طغى البؤس عابثاً بشبابى فقبست النعيم من وجناتك
وتوجعتُ فانتحبتِ لشجوى وسكبت الهناء من قبلاتك
كيف أحيا وفى دمى تقلق الرو ح نوازٍ مفجعاتٌ فواتك !
أنا لهفــــان والنعيم بكفّيـ ـك دعينى أمت على عتباتك !
قالت : اهدأ ! فما عهدتك يوماً تستثير النوى دفين شكاتك
كم غزا البين قربنا فتصـــبر
ت ، ورمت السلوان من ذكرياتك
قلت : يا لوعتا لظمآن جنّت روحه لهفة على رشفاتك !
كم وقفنا حيال قصركِ نبكى وخلسنا الغرام من شرفاتك !
وشدونا الهوى ملاحن سحر رقرق النور طيفها من سماتك
وشكونا النوى فكاد يطير الحسـ ـن فرط الحنان من غُرُفاتك !

آه يا زهرتى ! لقد شفَّ روحى ظمأ محرق إلى نفحـــاتك
فارفعى الستر بيننا ، ودعينى أتحسى الضياء من هالاتك
رب ومض من لحظ عينيك ساج نجر السحر من ســنا لمحاتك
نهلته عيناى فانساب شعرا عبقرياً يفيض من نظراتك

وهنا .. أسدل الستار ! ورنت خفقة : لهفتا على أمنياتك !

(دار العلوم) محمود حسن اسماعيل

نسيم الفجر

بقلم وهيب رشيد

(عن الشاعر الانجليزى Henry W. Songbellaut)

هب عند الفجر يجتاز البحار قائلا للسحب خلى الطرُقا
هاتفاً بالسفن قد جاء النهار بزغ الفجر جميـــلا عبقاً
أيها الملاح قم شُدَّ القلوع
وسرى فى الأفق حراً جذلا مرَّ بالناس جميعاً نائمين
مســيطر النوم عليهم فجلاَ سلطة النوم ببرهان مبين
صائحاً قد آن للشمس طلوع
مرَّ بالزهر مكباً نائماً فى ربى الغابة وسْنان العيون
فجرى فيهـا نشيطاً باسماً يوقظ الزهر بتلويح الغصون
ومضى والغاب بالعطر يضوع
دخل العشَّ على الطير الجميل راقداً يحلم أحلام المنى
فأحس الطير بالريح العليل هز برديه سروراً ورنا
لحقول القمح بالعين الولوع
وغدا يقطع أرجاء الحقول قاصداً ديك الصباح الغَرِدا
فتلقاه بلطف وقبول وبلحن ساحر جذل شـدا
مرحباً بالصبح ، بالفجر الوديع
وأتى المعبد قفراً موحشاً ما به غير سكون مطبق
أيقظ الحارس فيـه فمشى يقرع الناقوس قرع الحنَقِ
يا نسيم الفجر أَحييت الربوع

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٢٨ - تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

الناحية الايجابية من مذهب نيتشه

السوپرمان

أو الانسان الأعلى

للأستاذ خليل هنداوى

وهذه هى الميزات التى يراها نيتشه تميز السوبرمان من الانسان ، يرى أن فضيلة الانسان فضيلة تحمل إلى الناس جميعهم بدون فرق ولا استثناء ، بينا يرى أن فضيلة السوبرمان لا تمنى إلا فريقاً منتخباً ضئيلا سامياً . ألا ترى أوروبا اليوم جميعها تؤمن بديمقراطية تساوى بين طبقات الناس مهما اختلفت أصولا وفروعاً . ونيتشه لا يرى فى هذه الديمقراطية شيئاً طبيعياً ، هو يؤمن « باللامادة » ويريد أن يخلق طبقة ارستقراطية تتألف من أنواع محدودة ، لكل نوع تعاليمه وأعماله وواجباته المكتوبة عليه ، وأسفل هذه الأنواع هو مجموع الفئات المتوسطة التى يدور بأيديها دولاب المجتمع . فالنقش والتجارة والصناعة والعلم والفن تحتاج إلى عمال يخدمون برضاهم هذه الصناعات . يطيعون مختارين ويعملون مريدين . هؤلاء هم عبيد لأنهم ينفذون إرادة من هم اسمى منهم . وحق لهم أن تكون منهم الطاعة ، وأن يحتملوا من الألم كثيراً لأن الحقيقة قاسية . على أن هؤلاء يجب ان تضمن لهم أسباب حياتهم فيكونون أكثر هناء واطمئناناً وسعادة من رؤسائهم ، لا يشغل لهم إلا أن يواصلوا دورة الحياة ... أما الايمان الدينى عندهم فهو نعمة لا تثمن ، لأنه يذهّب كأشعة الشمس فاقة وجودهم المظلم ، يعلمهم القناعة والسكينة ويجعل واجباً عليهم احتمال إرادة غيرهم . وهو الذى يبث فى أرواحهم هذا الوهم الجميل القائل بأن هنالك نظاماً للأشياء . وأنهم هم أنفسهم لهم مكان نافع فى نظام الكائنات والأشياء . هؤلاء يقول لهم زرادشت : « لكم لكم العبودية والايمان ! » . وفوق هذا الفريق فريق المديرين وحارسى الشريعة والذائدين عن النظام والبلاد والمقاتلين وأمير البلاد . إن هؤلاء يدبرون الأمر ويسوسون الملك بسلطهم . إن هؤلاء هم الذين تخضع لهم إرادة العبيد حين يريدون . أما الفريق الأول فهو فريق السادة والعقلاء وخالقى « القيم الاجتماعية » . هؤلاء يجب أن ينفذ تأثيرهم فى قلب المجتمع ، هؤلاء يجب أن يهبطوا إلى الأرض ينزلون فيها بين الناس منزلة الاله الذى يقدسه النصارى . هؤلاء هم السادة ولهم وحدهم صنعت فضيلة السوبرمان

وهذه الفضيلة لا تتميز من غيرها بأنها فضيلة ارستقراطية فحسب ، ولكنها تخالفها فى المثل الأعلى الذى ضربته ، أما الانسان الفاضل فى الشريعة المسيحية أو شريعة الزهاد فهو الذى يخضع حياته لمثل أعلى ، ويضحى بميوله ورغابه فى سبيل عبادة الخير والحق . أما العاقل فى شريعة نيتشه فهو غير ذلك . العاقل هو خالق « القيم » وليست مهنته إلا خلقها ! لا شىء فى الطبيعة له قيمة بنفسه ، إن عالم الحقيقة هو مادة واحدة لا معنى لها ولا غاية إلا المعنى أو الغاية التى نراها نحن فيها ونعطيها إياها . الفيلسوف الحقيقى هو الرجل الذى ينطوى على شخصية قادرة على خلق الوجود ، ويبعث فى الناس الرغبة ويستهويهم ، هو الشاعر العبقرى الذى تتألف فى نفسه « القيم الاجتماعية » التى يؤمن بها رجال عصر ! هو مفكر فى الاشياء ، لكن تفكيره ليس إلا الشريعة السامية التى تهتز لها أمم ! يبدع بحرية ما يشاء مستقل الفكر سائماً من الخير والشر ، من الحقيقة وغير الحقيقة . هو يبدع حقيقته ، ويخلق شريعته وفضيلته . إنه رجل مجرب لا يفتأ يتحرى عن صور لعوالم جديدة . تراه يضحى بحياته وبسعادته ، ويفادى بحياة الآخرين الذين يجرون فى مضماره وبسعادتهم دون أن يتزعزع . إنه لاعب جرىء يتحدى الحظ ، لا يحفل إذا كانت لعبته الحياة أو الموت

إن العاقل عند نيتشه ليس بذى لروح الهادئ المسالم . هو من لا يعد الناس بالسلام وبالفرح الهادئ باقتطاف ثمرات عملهم . ولكنه يدفعهم إلى الحرب يلمع بين عيونهم الرجاء بالنصر والأمل بالظفر يقول زرادشت :

« إنكم ستتحرون عن أعدائكم ، إنكم ستقاتلون وستحاربون من أجل فكرتكم ، فاذا غلبت فكرتكم فليدفعكم إخلاصكم إلى السرور بهزيمتها . إنكم تحاربون السلم كوسيلة لحروب جديدة ، على أن السلم الصغير هو خير من السلم الكبير

أنا لا أنصح لكم بالعمل ، ولا أنصح لكم بالسلم ، ولكن أوصيكم بالظفر . ليكن عملكم حرباً وسلمكم ظفراً

يقولون : إن السبب الشريف يقدس الحرب . وأنا أقول لكم : إن الحرب الشريفة هي التي تقدس كل سبب

لا يجب أن يكون لكم من الأعداء إلا المبغضون لا الحقيرون ، وإذ ذاك تكونون أولى زهو وكبرياء بأعدائكم ، حتى ليغدو ظفرهم عليكم ظفراً لكم . »

إن القتال عند نيتشه هو خير سبب يعمل على التقدم ، لأنه يُري مواضع الضعف ومواضع القوة . يرى الصحة والمرض في المادة والأخلاق . وقد يكون القتال تجربة خطرة يريده العاقل ليزيد في حيوية الحياة ويزيد آفاقها سعة . وليدرك قيمة فكرة ما وقدرتها على الاحاطة بمعاني الحياة . الحرب نعمة حسنة في ذاتها وتنبأ نيتشه بأن أوربا ستدخل في عصر قتال تتطاحن فيه شعوبها في سبيل سيادة العالم

وبينما كانت « القيم الاجتماعية » الأولى تضع الشفقة في رأس هذه القيم ، كان زرادشت يعلم رفاقه بأن الارادة هي الفضيلة العليا « هذه هي الشريعة الجديدة التي أوصيكم بها ، كونوا قساة أشداء » إذ يجب في الحقيقة على المبدع بأن يكون قاسياً عنيفاً إذا أراد أن يُخضع الحظ ، أو أراد أن يوحي بتعاليم جديدة . إن الشفقة ليست عنده بفضيلة ، ولكنها خطر من أكبر الأخطار التي تلاقيه .

ألم يسمع « زرادشت » حول كهفه أصوات اليأس يرددها الرجال الذين يدعونه « تعال ! تعال ! قد حان الوقت » فلو أن الشفقة عليهم استهوته اليهم لكتبت عليه الغلبة . إنه يحتاج إلى قوة قاسية تصرف عنه تأثير هذا الدعاء الباكي .

بينما كان زرادشت يغادر بيته لاحقاً اليائسين الذين يجأرون له ، نزل مكاناً موحشاً خُيِّل اليه أنه مدينة الموتى . هنالك الصخور البارزة السوداء والشواريخ الحمراء ، حيث لا تنبت عشبة ولا ينجم كوكب ولا يزقزق عصفور . هذا هو واد ينفر منه الحيوان ، لا يأوي اليه إلا الأفاعي العظيمة الزرقاء ، تأتيه في كهولتها لتعانق الموت فيه . في هذا المكان المروع أبصر « زرادشت » هيكل إنسان قبيح ، فلم يشأ أن يتأمله ، وهم بأن يركض ما استطاع فراراً من هذا المسخ . ولكن صوتاً أهاب به كأنه غرغرة محتضر أو بقية ماء في منحدر

— زرادشت ، زرادشت ! نبئني بسري ! ما هو الانتقام من الشاهد ؟

وفجأة استولت على زرادشت شفقة غريبة ، ولكنه سرعان ما استعاد قسوته وصرامته ، فأجابه

— أنا أعرفك ... أنت قاتل الآله ، دعني أسر في طريقي ؛ أنت لم تحتمل من كان يراك ويطلع عليك في كل ارتماشك وشناعتك واشمئزازك أنت يا أقبح الرجال ! فأخذت ثأرك من هذا الشاهد » خرج زرادشت ظافراً من هذه التجربة التي هلك فيها الآله . إن آله المحبة قدمات وقد خنقته شفقته باطلاعه على كل نقائص الانسانية وشناعاتها الخفية . إن شفقته لا تعرف حداً . إنه وطأ الأماكن الأكثر عمقاً والأسحق بعداً من النفوس البشرية . ولهذا مات ، لأن الانسان لم يعد بقادر أن يحتمل شاهداً يقظ العين على خزيه وعيوبه . أحس زرادشت عوجة الحياة تغمر نفسه إزاء هذا المشهد ، فنفض من طرفه وهم بأن يتابع سبيله ، معتقداً بأن متابعته للطريق أجدى عليه من أن يهدر أيام عمره هدراً في سبيل الجلوس إلى « جسد » لا ينفع فيه دواء . وفي صنعه هذا لم ينج من الموت وحده فحسب ، بل اكتسب مع نجاته حب هذا الانسان الكريه . أما الانسان الكريه الذي كان يبغض الآله والرحماء فانه انحنى خضوعاً إزاء صرامة زرادشت وقبل أن يكون أحد الطارقين باب مثواه

(يتبع) خليل هنداوي

القصص

من صور الحياة

الآباء البيض

بقلم حبيب الزحلاوي

عرفته في المدرسة فتى وسيم الطلعة ، صبوح الوجه ، حيّ الطبع ، هادئ النفس ، فتوددت إليه واكتسبت صداقته

عرفت من خصاله العبوسة والخشونة والتجهم والغضب كما عرفت منها الطيبة والسلاسة والصدق والوفاء

كان تارة عنيف الحركة حتى الجنون ، وطوراً ساكناً كأنه غارق فيها !

عرف معلموه فيه الاقدام بدون تردد ، والاحجام بغير سبب ، وعرفوا فيه الاندفاع نحو تحقيق رغباته وإرضاء ميوله وبداواته ، كما عرفوا فيه الانصراف عنها كأن ليس له رغبات ولا ميول وبداوات !

تسرعوا فسموه « المتناقض » ثم اعتدلوا فأطلقوا عليه اسم « ذي الحدين » الأقصى والأدنى

كان انكبابه على الدرس ، ودقته في المحافظة على الواجب يثيران إعجاب المعلمين به وغيرة رفاقه منه ، كما كان توقفه عن الدرس ، واضرابه عن تلقيه بدون سبب ، وانتقاضه على الواجب ، وتمرده على العلم ، وقيامه على النظام ، مدعاة للدهشة والاستغراب

كنا تلميذين متلازمين متجاورين ، يفضي كل منا لصاحبه بطوية نفسه ودخيلة أمره ، إلا أني كنت ألمح فيه حرصاً على دفن سر شاغل خطير يكتمه عني في أعماق نفسه تفضحه نظراته الحزينة الباكية الذابلة

كان « ذو الحدين » خشناً في لعبه ، بريئاً في تعبيره عن خواطره كالأطفال ، صدوفاً عن المعاشرة ، مستغرقاً في الوحدة والانفراد كالنساك ، وكانت بسماته النادرة حلوة كالجمال الصامت في مظهر عروس ترملت بُعيد الزواج

ما كان أقرب نفسه إلى الرضا والطمأنينة والبشر عندما يكون في المدرسة بين دروسه وفروضه ورفاقه ، وكم كان يفارقه مرح النفس وغبطة الروح عند ما يعود إلى البيت إذ كان تلازمه فيه الوحشة والكآبة والحزن ! !

كانت ثياب « ذو الحدين » تختلف عن ثياب وهندام التلاميذ ، وكان لأمه شغف في ابراز وحيدها بثياب مخملية ليكون بين رفاقه — على حد تعبيرها — كالكوكب بين النجوم ، ولعل ولع أمه به وعنايتها بملبسه واهتمامها بزته هي التي نمت فيه خاصية التأنق والملاحظة والانتقاد ، وصيرت لكلامه أداء فريداً ووقعاً خاصاً في النفوس ، ولكن أنى الخلاص لفتى مثله حسن البزة ، صبوح الوجه ، لامع الذهن ، غريب الأطوار ، عريق المحتد ، صدوفاً عن المعاشرة ، عزوفاً عن مخالطة الناس ، أنى له الخلاص من مخالب فتيان تتوثب فيهم غرائز القوة البكر وإبراز قدرتها وسلطانها على الاقران ، وتتمطى فيهم الغيرة الآكلة لفقدهم أكثر الصفات والمزايا المتوفرة لهذا الفتى الرقيق ؟ ! ! !

ولكن صاحبي كان يتخطى هذه البواعث الشائكة على قنطرة من تبين الفتوة وتعمل الكبرياء واصطناع الترفع عن الاختلاط بتلاميذ في غير ترتيبه ! بذلك نمت فيه ملكة العنجهية والتسامي

كانت ظاهرة الكبرياء عنده دخيلة على طبعه الرضي ، غير أنه توسل بها لدرء عوارض طارئة لا شأن له في وجودها ، فكان يداريها بالعطف الأخوي ، والاحسان الانساني ، والشفقة التي كان يشمل بها كل محتاج من إخوانه التلاميذ ، وما أكثر المعوزين في تلك المدرسة التي كانت تضم جميع أبناء العمال في ذلك الحي

* * *

جاءني مرة بثغر باسم ووجه متهلل متلألئ يقص علي خبر اعتزامه على الالتحاق ببعثة « الآباء البيض » ليتلقى العلم في

مدرستهم « الصلاحية » فى القدس ويقول : إن الآباء رضوا أن يلحقوه بها ، وأنه دفع لهم مبلغاً من المال كان يدخره ، وأن رئيس البعثة وعده بأن يصطحبه معه وينتزعه من أهله إذا مانعوا ، وأنه سيتعلم علوم القساوسة ويعود فيرغم جميع الناس على تقبيل يده باحترام ، والاستماع إلى أقواله والانصات إلى عظاته بخشوع !

لم يكن اهتمامى بالخبر ليوازى فضولى الحافز إلى معرفة العامل الذى جعل صاحبي يطرب للرحيل عن أهله كطرب عصفور فى قفص يسقسق ويصفق بجناحيه ، وأنت فى الحقيقة لا تدرى إذا كان طربه للطعام المقدم أو للانطلاق الموموق

لم يكن الخبر هاماً فى ذاته ، إنما كانت الأهمية عندي فى اكتشاف الدوافع التى جعلت هذا الفتى دائم التأرجح بين كفتى الفرحة القصوى والحزن الأقصى ، فتوهمت الفرصة موانية تدنيني من مكمن السر ! !

رفيق هذا الذى يحدثني عن سفره بطرب ، وعن اعتزام رئيس البعثة انتزاعه من أهله بسهولة ، هو وحيد لوالديه ، محبوب منهما حتى العبادة

ما الذى فى نفسه يا ترى من البيت ومن أبويه حتى يؤثر المدرسة والتلاميذ عليهم ؟

ما الذى فى نفسه منهم وهو يفزع إلى الآباء البيض هرباً من والديه مفضلاً الرحيل على البقاء معهما ؟

لم يكن فى وسعى تحويل الأمر آنذاك وقد كنت فتى أملك قوة اختزان الحوادث لا تحليلها ، أدخر عوارض الأشياء لا أنقدها ، أنظر إلى كليات المسائل لا جزئياتها ، وهكذا صرفت برهة فى استقبال خبر السفر كأنها كانت برهة الاستجمام لأعود بعدها إلى صاحبي بنفس قوية ، وعزم قاطع ، أصرف بهما ذهنه عن هذا الخاطر الطارئ المستحيل التحقيق

داورت صاحبي بحجة معرفة بواعث هذا السفر المفاجئ ، لمحت بالكلام إلى أمر حسبت أنه يكون بمثابة مفتاح للسر ، فانقبض مكتئباً وأشاح بوجهه عني كأنه ندم على ما قال ؛ لم يمهلني لأعتذر عن سوء تصرفي وتوضيح قصدي وانصرف ، أسقط فى يدى وأضاع الفضول الفرصة المواتية ... ... ولكني صممت على عمل شيء

نجحت أولا فى إبلاغ والده خبر سفره سراً مع الآباء البيض وحاولت إقناع صاحبي بأني لم أكن واشياً تماماً بل كنت المحب صادق المودة ، أوثر صداقته وأرعى اطراد تقدمنا معا فى مسالك الدراسة ...

لم ينصت إلى أقوالى ؛ غضب مني وبكى من والديه ؛ قاطعني وانقطع عن الايواء إلى البيت ، وصار كمكوك الحائك ينصرف من بيت عمته الأرملة وليس فيه رفيق أو صديق ، إلى المدرسة التى لم يبق له فيها سوى الوحـــدة والانفراد ورفقة الكتب وحفظ الدروس

عبثاً حاولت استرضاءه واسترداد وداده . قطع الرأى على قطيعتي ، وثبت على عناده ، وهكذا صرنا صديقين متباعدين

جزنا الامتحان سوية ، انتقلنا معا من مدرسة إلى أخرى ، زودتنا الكلية البطريركية بشهادتها العليا ، طوحت بنا الأقدار فألقت بواحدنا فى مصر وبالثانى فى أمريكا لا يعرف الواحد عن صاحبه شيئاً

* * *

فى شارع تتماوج فيه عشرات الألوف من نساء مستهترات وسيدات فضوليات من كل جنس متفرجات ، يعج بأضعاف الآلاف رجال من كل سن وعمر وقطر ومصر ، فيهم العابث المتهتك ، وفيهم من هو غير متهتك ولا عابث

فى هذا الشارع الذى لا تهدأ فيه حركة ، لا فى الليل المنار بمصابيح أضواؤها الجمال والحسن والفتنة ، ولا فى النهار الذى ينزع فيـه الانسان الدرهم من بين فكى أخيـه الانسان لينفقها فى الليل على مباذل المرأة

فى هذا الشارع المكتظ بخلائق كأنها فى مهرجان ؛ فى هذا الشارع تطلق البسمات من الشفاه والغمزات من العيون ، وترشق القلوب بسهام النظرات الساحرات ؛ فيه يطلق الرجل أعنة الحياء وينضو ثياب الخجل ؛ فيـه تخلع المرأة العذار وتتشح بالفتنة والشهوة ؛ فيـه يرتجل الأكمه أبرع عبارات الاطراء الغزلى ، وتفتن المرأة فى ابتـداع شباك الاصطياد ؛ فى هـذا الشارع أنقذني خاتم فى أصبع يدى اليسرى من إغراء حسـناء لعوب من بائعات البدن ؛ فى هـذا الشارع تصطدم البريئات والبريئين من الفضوليين الأغراب بمن لا براءة عندهم ولا فضول ، فيحسب المصطدمون والمصطدمين الانزلاق حرية ، والاستهتار مدنية ، والفجور طابع الأمة

هـذه سيدة قلقة تنتظر المتخلف عن الميعاد ! هـذا رجل

واقف مطمئن إلى لقاء من وعدته . هذا يعانق تلك ، وهذه تقبل هذا قبلات مسكرات ، وهذا غريب مشدوه يرى ويبصر وكأنه لا يرى ولا يبصر

فى هـذا الشارع البهيج الذى يجمع قلب باريس فى قبضة الحياة سمعت من يذكر اسمى ولقبى بصوت أيقظ فى حاسة غريبة مدفونة فى الأعماق منذ أيام الحداثة ، فاتجهت صوب رفيق المدرسة الذى لقينى هنا فعرفنى ، فنادانى فاستجبت

مشينا على غير هدى ، تبادلنا ألف تحية وأشواق ، يممنا مقهى أعرفه ، ولما جلسنا فى زاوية منفردة فيه تأملت صاحبى فاذا بالأعوام بدات من ملامحه وتركت فى وجهه بعض التغضن حول العينين ، وثنيات واضحة فى الجبين ، وشعرات رمادية ظاهرة فى السالفين ، قرأت فى نظراته معانى التوطد والثقة بالنفس ، ولمحت فيها بقية من آثار الذبول والحزن

أخذنا نتكلم ونعيد تلاوة صحائف الماضى ونستعرض ذكريات المدرسة بلذة وفرح ، ونسرد فصول رواية الحياة الكبرى بين مآسى المرأة وفواجع كسب المال

انبلج الصبح وانطفأت مصابيح الكهرباء ، تبدلت وجوه رواد القهوة ، وقد أورمها السهر وخنقتها الخمر ، بوجوه نضرة فياضة بقوة الراحة المستمدة من النوم تستقبل النهار لتستأنف الجهاد فى ميادين العمل ، بقيت وصاحبى وحدنا الجالسين الهائمين بذكر حوادث الماضى ثم افترقنا على موعد للتلاقى

كان الليل يجمعنى وصاحبى فى باريس على مائدة طعام أو شراب ، وكان لنا فى كل جلسة جولة أو جولات فى معترك الحياة ، غير أن جلسة الليلة اختلفت عن سابقاتها فى الجو الذى هيأه وجود كاهن شرقى أعرفه بصحبة سيدة فى المطعم

جال خاطر مفاجئ فى ضميرى فابتسمت ، استطلعنى صاحبى معنى الابتسامة فرغبت اليه أن يقرع بكأسه كأسى فنشرب النبيذ البكر على ذكر صداقتنا البكر ! !

نظر إلى متعجباً وقال : هل من طارئ جديد ؟

قلت : بلى

قال ما هو ؟

قلت : هل فى وسعك الآن وقد طويت مرحلة من الشباب واكتملت رجولتك أن توضح لى أسباب حزنك فى حداثتك ونفورك من والديك ، وتوقك إلى البعد عنهما ، وقطيعتك إياى وقد أفسدت عليك تدبير التحاقك بالآباء البيض ؟

ابتسم صاحبى فذكرنى بسمة العروس الأرملة وقال : أحسب وجود الكاهن فى المطعم بثوبه الأسود الفضفاض ولحيته المسبلة على صدره هو الذى نبه ذهنك إلى هذا الموضوع

قلت : هو ذاك

سكن صاحبى هادئاً كأنه يفيض ذهنه فى قلبه ، وأطبق أو كاد يطبق أجفانه كمن يقرأ سطور الضمير فى سفر الغيب ، وطفق يقول :

أشكر لك هذا السؤال ، لأن فى الاجابة عليه تفريجاً عن كرب مستعص آن أوان البرء منه

كانت عقدة نفسية عقدتها الحساسية المرهفة والشعور الوجدانى فحللتها لوحدى على مهل

أكرهت والدتى على الزواج من والدى الأرمل ولما يكن له من العمر تسعة عشر عاما بعد ، فكان جمالها ، ووجاهة أهلها ، وزواجها من فتى أرمل ، علة جرحت كبرياءها بين أترابها الفتيات ، وبترة تنكأ النكد الأليم والنفور المتواصل ونزق الشباب ، فكنت أستشعر أنى الجسر الذى يربط قلبين متنافرين

كنت ثمرة زواج أنضجتها عناصر الجسد ولم تشملها موجات الروح بوحدات من الحنان والعطف الوالدى إلا بمقدار ما كانت الوسيلة تمهد للغاية ! !

وددت لو أكون الوسيلة لاقرار الغاية المثلى من الزواج ، إلا أن الغاية كأنها تكونت للاتصال الوقتى الذى يعقبه النفور ، فكنت أتمنى لو يتهدم الجسر فيبقى كل قلب على ضفة يشطرها عن أختها نهر الحياة ! !

آثرت الصدوف عن مرأى زهرة نبتت عفوا فى أرض رملية ، وعزفت عن تربة لا حياة فيها ولا رجاء ، فلذلك كنت أنكر نفسى وأشفق على الناس يلم بهم حزنى ، وأبكى لشقاء والدى

كان يعرف والدى فى حدة الاحساس والشعور المرهف فاستبدل أبوته لى بأخوة

أقنعنى ، لما أبلغته أنت خبر اعتزامى على الالتحاق بالآباء البيض ، بان فى ابتعادى عنه مهدمة عاجلة لحياة تنهار من نفسها ببطء ، ويتمنى ألا أتعجل انهيارها فيبلغ القبر قبل أن أشب وأقوى ، وقال دع البيت يحترق بنار هادئة ثم اعمل أنت على بنائه من مواد لا تقبل الاحتراق

ثم قال لى : لا فائدة من علوم الكهنوت للذين يتهيأون لأن

يطلوا على أرجاء الحياة السحيقة من كوات الدين الضيقة ، وإن علوم الدين على وجاهتها وقداستها ، تغل العقول ، وتضيق الأذهان ، وتبلد طبيعة الرجولة فى الانسان ، وإن الـكهنوت صناعة يحترفها الـكسالى والبلداء ، وإن الرجل الذى يعارك الدهر ويظفر منه بسلاح من الخلق السامى ونبالة القصد ، والذى ينصر الانسانية بروح منبعث من فيض انسانيتـه هو ، لا من تعاليم تحورت فصيرت جماعات الانسان عبيداً للأفراد من بنى الانسان

رأيت دموعاً جالت فى عينى صاحبى وتحدرت كالبرد على خديه ، ولمحت صور نفسه تشرق وتتجلى فى صفحة جبينـه وتقاطيع وجهه ، وتكور جفونه ، وانقباضات حاجبيه وشفتيه

تناولنا كأسينا فأفرغنا ما بقى فيهما ، أترعناهما بالرحيق من جديد ، زودت غليونى بالتبغ ، وقبيل إشعاله سألت صاحبى : ماذا كان مصيرك لو ذهبت صحبة الآباء البيض وتعلمت تعاليمهم ، وتلقحت بعباداتهم ، ونذرت الطاعة والعفة والفقر مرضاة لله وطمعاً فى الآخرة ؟

لا ، لا ، قال صاحبى : هـذا سؤال لى أطرحه عليك ، هذا عبء ألقيته عن ضميرى منذ اتجهت صوب المادة أعالج شؤونها معالجة عامل عقله فى ساعديه وذهنه بين ساقيه ، وقلبه فى « كرشه » ، أجب أنت ياصديقى على هذا السؤال لأنى آليت منذ هجرت الأهل والوطن أن ألتزم الآلة فأكون مثلها ، تحركها القوة الدافعة ، يغذيها الحريص على بقائها بالزيت والشحم ! ! قل ، أجب ، اشرح لأنى أتوق إلى معرفة ذلك المصير ، مصيرى لو صرت كاهناً ، لأنه كثيرا ما أقض هذا الخاطر مضجعى ، وعكر راحتى ، وسلب الرقاد من جفونى على كره منى

أشعلت غليونى ، أخذت أنظر الدخان يعقد حلقات تتمدد وتتبخر كخواطر الانسان ، وأرى النار تتأجج وتهمد فى قلبه كالرغبات فى ضمير الرجل ، ثم سمعت نفسى تناجينى وضميرى يسارنى فقلت :

ماذا ترانى كنت أكون لو فعلت تلك الفعلة ؟ هل كانت تتبلد مشاعرى ، ويتحجر احساسى ، وتتكور نظراتى ، ولا تعود آرائى تدور إلا حول نقطة مجهولة فى مصـير مزعوم طمعاً فى وهم ملفق ؟

هل كنت أتعامى عن الدنيا وما فيها من بدائع صـنعها الانسان بقدرته فصيرها جنة لمن يطيب له النعيم فى الجنات ، وجهنم لمن يرتاح إلى الشقاء فى الجحيم ؟

هل كنت أنطوى على جوفى الخالى ورأسى القحل كما تنطوى الحية على نفسها فى الرمال تتلمظ السم من أنيابها فى انتظار حياة رغدة فى فصل الربيع الذى لا شك فى اقباله بالخيرات ؟

هل كنت أتوسد فراشاً حشوا بشوك الحرمان ، ألتحف الـكبت ، أتقلب على جمرات من عذاب الجسد ، ليس لى من مجير سوى حقنات الـكافور تخمد إلى حين ثورة الأعصاب المتشنجة ، والنفس المحمومة ، والروح الحائر ؟

هل ترانى كنت أتوجه صوب السماء الصامتة أطلب الغوث من سكانها الصامتين ؟

ماذا ترانى كنت أكون لو فعلت تلك الفعلة ؟

هل كنت ألبس المسوح وأسكن الأديار النائية ، أعد دقائق العمر بين السأم والملل ، والرجاء والخيبة ، والشكوك والريب ، والاستسلام والجمود ؟

هل كنت أعزف عن الدير ومساجينه ، والزهد وقتلاه ، وأطمئن إلى سكنى المدن حيث الزلفى إلى الأغنياء ، والسلطان على الفقراء ، والراحة للجسد ، والشبع للمعد ؟

هل ترانى كنت أنطوى مع من انطوى قبلى من الأغنياء ، أو أتمرد وأأتمر فأصل ذروة العرش فأحمل صولجانه ، وألبس تاجه وأتدثر طيالسة القياصرة ، وأترك الصليب الثقيل للمتجردين ، وأرغم الضعفاء على طاعتى باسم الصليب المقدس ؟

صمت قليلاً وكان صديقى يصغى إلى ، تجرعت جرعة من الشراب هـدأت بها نفسى مما ساورها وباعدت بها عنى حمم التصورات والتخيلات وقد ازدحمت فى الذهن وأخذت تتدفق كسوائل صهرها البركان لتصل إلى العقل الذى يوازن ويقارن ويفاضل وإذا بى أسألها من جديد أسئـلة عالجها لويجى بيرانديللو من قبل ، وهى :

« أبة سيادة لنا على عواطفنا وأفكارنا وإراداتنا وشخصياتنا ؟ ألسنا كلنا خاضعين لضروب التأثيرات النفسية والجسدية وأن ليس لنا وجود شخصى معين ؟ ألسنا وجدنا لنكون تبعاً لأعمال الآخرين ؟ ألسنا نلعب الدور الذى يفرضه علينا مجتمعنا وبيئتنا وضعتنا ، وإننا ننتهى إلى حيث لا نعرف أين نحن ، وإننا لا ندرى ما إذا كانت شخصيتنا الحقيقية هى التى نحلم بها ، وهى التى نحياها ، أو هى التى نتظاهر بها أمام الناس »

اسمع ياصاحبي واصغ إلى ، إن انساناً واحداً في هذا الوجود له السيادة المطلقة على الفكر والعاطفة والارادة الشخصية ، وأنه وحده غير الخاضع لتأثيرات النفس على الجسد ، هو وحده المتمرد على البيئة والمجتمع والعرف والقانون ، هو الفريد في هذا الوجود ، له وجود شخصي معين يعرف البداية كما يعرف النهاية ، هو صاحب الرسالة ، الرسالة التي يضعها الانسان لأخيه الانسان ، رسالة غير منزلة على القلب ، ولا مكتوبة على الحجر ، ولا مبعوث بها مع رسول ، إنما هي أنات المجاميع ، وتوجعات العبيد ، وعويل الاجراء ، يصورها بالقلم ضمير إنسان مثلي ومثلك يشعر بالأنين والوجع والعويل أكثر مما يشعر بها أولئك الصادرة عنهم أنفسهم ، ويحس بالظلم والجبروت والطغيان والقهر الصادرة عن أفراد أشرار يعبثون بالمجاميع ، يلهون ويلغون في جسومهم وأبدانهم ودمائهم كما لو أنها نازلة فيه ومنصبة عليه ، هذا الانسان من القلائل الذين يحملون رسالة مساواة الانسان بأخيه ، هذا الرسول الذي تتمخض الانسانية فتلده ، لا يمكن مطلقاً أن تقيده قيود إكليريكية ، أو علمانية ، أو تغله سلاسل الملكية أو الاقطاعية ، أو تعوقه البورجوازية أو الرأسمالية لأنه خلق في الأصل لأن يكون صاحب رسالة ! !

شتان ياصاحبي بين رجل روحاني تطوح به الأقدار والمصادفات فتلقيه بين مخالب المادة فتكتنفه من كل جانب فتنفرقه بين طيات لذاذاتها ، وبين رجل موهوب لو اجتمعت عناصر الطبيعة ، وأتمر الوجود على طمسه والطغيان على وجوده لسخر من الطبيعة والوجود وبرز كالظاهرة الكوكبية في أجواء الفضاء يلمع ويسطع بين عناصر الكون ليتمها بوجوده ! !

شتان بين البارقة من الروح واشعاعاتها كلها ، في كل إنسان نسمة من هذا الروح . أما صاحب الرسالة فهو روح بذاته

ستعود إلى أمريكا وأرجع أنا إلى مصر ، وقد نتلاقى ثانية ، وقد لا نتلاقى لا في هذا العالم ولا في العالم المجهول ، وستبقى أنت كما كنت مجداً في تنظيم مشاريعك الاقتصادية تعوه بها على نزعة النسمة من روحك التي أكسدها الاستغراق في المادة ، وسأرجع أنا إلى مثل ما كنت عليه في تصوير الجمال بالألفاظ المتناسقة إرضاء لنسمة الروح المصقولة باندماجي فيها ، وستلد الأمهات الآلاف مثلك ومثلي ، وسيكون لكل منهم اتجاهه الخاص . نعم ، قد تعوق اتجاهه بعض العوامل الخارجية وتمرقله في إظهار ما في وسع نسمة الروح إظهاره من رسالة ، ولكنها لن تصده عن إتمامها على الوجه المقنن في خصائصها وعناصرها المقننة ! !

كلنا أبناء الطبيعة الهوجاء ، والقدر الأرعن ، والدهر العابث ، كلنا صرعى الفوضى وضحايا التشتت ، إنما الرسول الملهم هو الذي يستجمع من الهوج والرعن والعبث ألواناً زاهية يرسم فيها للحياة صوراً جميلة فاتنة مغرية تجتذب الجماعات المغمورة بالجهالة صوب الغاية من وجود الحياة ! !

* * *

باخرتان : اتجهت الواحدة صوب الغرب تحمل رجلاً ينزف دمه في عبادة المال حيث أربابه هناك ، وألقت الثانية مراسيها في ميناء شرق تعيد إليه عابداً من عباد الحب والجمال والفن حيث آلهتها هنا !

حبيب الزحلاوي

البريد الأدبي

التعصب اللغوي بعد التعصب الجنسي

ظهرت في إيطاليا أخيراً حركة للعمل على تطهير اللغة الايطالية من العبارات والكلمات الأجنبية؛ وبطل هذه الحركة كاتب معروف هو السنيور باولو مونيلي، وقد أذاع دعوته في كتاب شديد اللهجة يدعو فيه إلى تحرير اللغة القومية العريقة من ذلك السيل من الكلمات والعبارات الأجنبية «البربرية» ويعترف السنيور مونيلي بأن هناك كلمات أجنبية في دوائر الأعمال والرياضة يصعب الاستغناء عنها، ولكنه يرى أنه يمكن الاستغناء عن الكثرة الساحقة من الكلمات والعبارات الدخيلة التي تشوه جمال اللغة الايطالية وتظهرها بمظهر القصور والفقر في حين أنها من أعرق لغات الأرض وأغناها

وهذه الحركة التي يدعو إليها الكاتب الايطالي بالنسبة للغة الايطالية ليست إلا طرفا من الحركة العامة التي ظهرت من قبل في تركيا الكمالية وفي ألمانيا، ثم ظهرت أخيراً في إيران؛ ومما يلاحظ بنوع خاص أنها من آثار النظم الطاغية التي تسيطر على هذه الأمم وتمعن في فهم النزعة القومية وتدفعها إلى حدود التعصب الجنسي والعلمي. ففي تركيا تضطرم الحكومة الكمالية بنزعة تعصب عميق نحو الاسلام ونحو اللغة العربية التي هي من أبرز مظاهره، وتبذل منذ بضعة أعوام مجهوداً عنيفا لاستبعاد الألفاظ العربية من اللغة التركية مع أنها تكاد تتفوق فيها على العناصر التركية الأصلية، وإحياء الألفاظ التركية القديمة؛ بيد أنها مع ذلك تضطر إلى الاشتقاق من اللغات الأوربية بكثرة ظاهرة، مما يدل على أن الغاية الحقيقية ليست تحرير اللغة التركية من الألفاظ الأجنبية، بل قتل العناصر العربية فيها تحقيقا لبرنامج الكماليين في محو كل آثار للاسلام والعربية من الحياة التركية الجديدة. وفي ألمانيا الهتلرية تجري حركة لاستبعاد الألفاظ الأجنبية وتطهير الجرمانية منها، وهذه حركة نستطيع فهمها في أمة عظيمة كألمانيا ذات لغة عريقة محدثة، وإن كانت فكرة الهتلريين لا تخلو مع ذلك من عناصر التعصب القومي والجنسي. كذلك أخذت إيران أخيراً تحذو حذو تركيا في حذف الألفاظ العربية من اللغة الفارسية؛ بيد أن حكومة الشاه تجري في ذلك في هوادة واعتدال، وتؤكد للعالم العربي أنها لا تبغي سوى غاية لغوية ثقافية ترى تحقيقها باحياء مجد اللغة الفارسية القديمة

كتاب عن ضحايا الثورة الفرنسية

صدر أخيراً بالانكليزية كتاب جديد عن الثورة الفرنسية بقلم دونالد جرير؛ وعنوانه «حوادث عهد الارهاب» Incidents of the Terror، فهو إذن يتناول هذه الناحية من حوادث الثورة فقط، وهي بلا ريب من أخصب نواحي الثورة وأحفلها بالحوادث الرائعة

وقد ظهرت عن الثورة الفرنسية في معظم الآداب الحية كتب ومؤلفات لا حصر لها، ومنها آثار جليلة شاملة؛ ولكن الثورة الفرنسية تبقى أبداً موضوعاً للتأمل والدرس، ولا ينضب معين الطرافة والجدة في حوادثها وأسرارها الدفينة. ومؤلف اليوم ليس قصة، وإن كان ما يورد من الحوادث يفوق القصص في غرابته وروعته، بل هو تاريخ محقق من الوثائق والسجلات والمراجع المحترمة؛ وفيه يقص المؤلف حوادث عهد الارهاب الذي أزهقت فيه عشرات الألوف، ويصور لنا حالة الفرائس المسوقة من الكبراء والنبلاء، ويسرد حوادث محاكمتهم وإعدامهم في روية واعتدال، وقد انتهى المؤلف إلى القول بأن من أعدموا خلال هذا العهد بواسطة المقصلة يبلغون ١٦٫٥٩٤ نفساً، وأن هناك عدداً أكبر يقدر بين ثلاثين وأربعين ألفاً هلكوا في السجون من المرض والبرد والمعاناة النفسية؛ وتقديره النهائي هو أن خمسة وخمسين ألفاً هلكوا ضحية الثورة الفرنسية، هذا بينما يقدر بعض الباحثين من هلكوا في الثورة الروسية الأخيرة (الثورة البلشفية) بخمسين ألفاً فقط، ويعرض لنا الكاتب في أسلوب قوي شائق العوامل والأسباب التي يعتقد أنها مبعث هذا العنف والسفك المنظم

مشروع علمي جليل : سلسلة المعارف العامة

اعتزمت لجنة التأليف والترجمة والنشر اخراج كتب لطيفة الحجم يتناول كل كتاب منها موضوعاً خاصاً علمياً أو أدبياً ؛ وترمى بذلك إلى تكوين سلسلة تشمل جميع النظريات الحديثة فى الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والتربية والطبيعة والكيمياء وغير ذلك ؛ وقد سلكت فى ذلك طرقاً مختلفة ، فأحياناً تترجم كتباً أجنبية إذا رأتها صالحة كل الصلاحيــة ، وأحياناً تؤلف فى الموضوع بما يتفق وذوق الجمهور العربي

وقد بدأت هذا الشهر فى اخراج ثلاثة كتب

(الأول) عرض تاريخي للفلسفة والعلم تأليف ا . وولف وترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، وهو كما يدل عليه اسمه نظرة عامة فى تاريخ الفلسفة والعلم من بدء نشأتهما إلى الآن

(الثانى) الآراء الحديثة فى علم الجغرافيا تأليف ل . ددلى ستامب وتعريب الأستاذ أحمد محمد العدوى مدرس الجغرافيا بالجامعة المصرية

(الثالث) سكان هذا الكوكب تأليف الدكتور محمد عوض أستاذ الجغرافيا فى الجامعة المصرية يبحث فى سكان الكرة الأرضية من بنى الانسان من حيث نشأة النوع البشرى وتمدد الأجناس ونمو السكان وتوزيعهم على سطح الأرض مع دراســة تفصيلية لحالة السكان ومشاكلهم فى مختلف الأقطار

وستخرج اللجنة فى شهر فبراير سنة ١٩٣٦

(١) كتاب « البراجماتزم » أو الفلسفة الأمريكية تأليف الأستاذ يعقوب فام

(٢) كتاب « النقد الأدبى » تأليف لاسيل أبر كرومبي وترجمة الدكتور محمد عوض

(٣) كتاب « علم التاريخ » وهو بحث فى النظريات الحديثة لعلم التاريخ ترجمة الأستاذ عبد الحميد العبادى

وهكذا ستسير اللجنــة على هذا النمط فى اخراج أجزاء السلسلة تباعاً فى فروع العلم المختلفة

وقد شجعت وزارة المعارف العموميــة اللجنة على هذا العمل بمساعدتها المالية والأدبية

وترجو اللجنة باستمرارها فى هذا العمل أن تكوّن منــه دائرة معارف عامة تشمل كل الموضوعات العلمية والأدبية

رئيس لجنة التأليف والترجمة

أحمد أمين

تجربة لاختبار الذكاء

قامت بعض دوائر التربية فى اليابان بتجارب عقلية لاختبار ذكاء التلاميذ فى المدارس الابتدائية ، وجعلت الحد الأعلى لمقدرة التلاميذ ١٥٠ درجة واختبرت بهذه الطريقة سبعة آلاف تلميذ فلم ينل منهم الحد الأعلى أعني ١٥٠ درجة سوى ١٦٥ تلميذاً فقط وظهر من التجربة أن اختلاف السن بين الوالدين لا يؤثر تأثيراً سيئاً على الصفات العقلية للنسل ؛ ذلك لأنه وجد بين هؤلاء المائة وخمسة وستين تلميذاً النابغين عدد كبير من الأبناء الذين ولدوا من آباء سنهم بين الثالثة والأربعين والخامسة والأربعين ، وأمهات بين الخامسة والعشرين والسابعة والعشرين . بيد أنه وجد فى معظم الحالات أن هؤلاء التلاميذ ولدوا من آباء فى نحو الثلاثين وأمهات فى نحو الرابعة والعشرين

وقد ظهر أيضاً أن الوالدين الفتيان لم ينجبوا أبناء فى منتهى الذكاء ، وأن الزواج الباكر جداً ينتج أبناء لا تتفتح مواهبهم العقلية تفتحاً تاماً ؛ هذا وقد لوحظ مع الدهشة أن الموظفين والمستخدمين الصغار هم آباء أذكى التلاميــذ ، ثم يأتى بعدهم التجار ، ثم أرباب الصناعات فالمربون فالأطباء فالعمال

ومما أظهرته التجربة أيضاً أن أذكى التلاميذ هم كذلك أصحهم بنية وجسما

آثار العمالقة

يقدم إلينا القصص القديم كثيراً من سير العمالقة والمخلوقات الضخمة التى لم تعرفها عصور التاريخ المدون ؛ والظاهر أن أولئك « العمالقة » لم يكونوا مجرد خيال فقط صوره القصص القديم ؛ ففى الأنباء الأخيرة أنه اكتشفت فى منطقة مانيتوبا فى كندا (أمريكا الشمالية) هياكل بشرية ضخمة يبلغ طولها نحو ثمانية أقدام (نحو مترين وثلاثة أرباع المتر) ، واحدها فى حالة جيدة من الحفظ ، وكان اكتشافها على عمق أربعة أقدام فى أحد المحاجر التى تستغل فى تلك المنطقة

وقد استدعيت بعثة من الاخصائيين من علماء التشريح وعلم طبقات الأرض برآسة الأستاذ ديلورى أستاذ علم طبقات الأرض بجامعة وينبج ، فصرح بعد بحث الهياكل أنها ترجع إلى عدة آلاف من السنين ، وأنها تنتمى إلى جنس من العمالقة كان يسكن غرب كندا قبل مجيء الهنود الحمر بأحقاب بعيدة

هذا عن العمالقة من بنى الانسان . أما المخلوقات الضخمة التى يذكرها القصص القديم ، فتدل الابحاث العلمية الحديثة على أنها كانت توجد فى غابر الأزمان فى بعض جهات الصين وأفريقية الجنوبية كما تدل على ذلك بقايا العظام والهياكل الضخمة التى اكتشفت فى تلك الأنحاء . وأما الأحياء المائية الضخمة فما زالت توجد حية فى بعض البحار، وإن كانت قد غدت نادرة بحالة تؤذن أنها أضحت على وشك الانقراض

أثر خطى نفيس

لا تزال الأديرة القديمة فى مختلف أنحاء أوربا تحتفظ بكنوز من الآثار الخطية القديمة ؛ ومن هذه الأديرة دير كرمز منستر بالنمسا ، فهو يحتفظ بطائفة من مخطوطات العصور الوسطى ، وفى الأنباء الأخيرة أن مكتبة الدولة فى بافاريا قد حصلت من هذا الدير على مخطوط أثرى نفيس للشاعر الألمانى هينرخ فون منخن وهو مخطوط يرجع إلى القرن الرابع عشر ، وفيه قصص شعرية رائعة مأخوذة من التوراة ، وقصص أخرى من العصر القديم حتى عصر كارل الأكبر ، وقد تولى شراءه لحساب مكتبة بافاريا الهير فون بابن سفير ألمانيا فى النمسا

وفاة مؤلف موسيقى

من أنباء فينا (النمسا) أن المؤلف الموسيقى الشهير البان برج قد توفى ، وكان مولده فى فينا منذ خمسين عاماً ، ومع أنه من تلاميذ المدرسة الأمبراطورية القديمة ، فانه نحا فى التأليف الموسيقى نحواً جديداً ، وله مقطوعات موسيقية كثيرة ، وقطعة «أوبرا» تسمى «فوتسك» نالت نجاحاً عظيما ، وكان إلى ماقبل وفاته بأيام قلائل يقود حفلاً موسيقياً عظيما فى أحد مسارح فينا الكبرى ، فأثارت طريقته الجديدة استحساناً عظيماً كما أثارت نقداً عظيما ، ويرى النقدة أنه لم يبلغ ذروة قوته وفنه ، وأن الموت عاجله ، فأصابت الموسيقى النمسوية بفقده خسارة لا تعوض

جوائز أدبية نمسوية

ومن أنباء النمسا أيضا أن جائزة الدولة النمسوية عن الأدب لسنة ١٩٣٥ قد منحت إلى الأستاذ بركونج ، ومنحت جائزة الدولة للموسيقى إلى الأستاذ يوسف مسنر رئيس فرقة سالزبورج الموسيقية ؛ ونال جائزة التأليف الموسيقى المؤلف الموسيقى الشهير الدكتور فريدريخ ريدنجر

الكتب

كتاب اللآلى *

شرح امالى القالى

للاستاذ أحمد أمين

أخرجت المطابع الشرقية ، آلاف الكتب العربية ، ولكن — مع الأسف — لم يكن الاخراج فى أكثر الأحيان على نمط علمى ولا قريب منه ؛ فكثير من الناشرين تجار لا علماء ، يهمهم الربح أكثر مما تهمهم الدقة والضبط ، فهم يعهدون فى تصحيح كتبهم إلى من ليسوا محل ثقة ، ولا أمانة ، فلا يكلفون أنفسهم عناء جمع النسخ من الكتاب ليستعينوا بها ، بل يعتمدون على نسخة واحدة وقد يكون غيرها خيراً منها ، ثم لا يرعون الأمانة فيما بين أيديهم . فقد لا يفهمون جملة فيغيرونها أو يحذفونها ، وقد لا يستطيعون قراءة كلمة فيضعون كلمة أخرى من عندهم محلها ، من غير إشارة ولا تنبيه ، فخرج كثير من الكتب وعدمها خير من وجودها ، والنار أولى بها من المكتبات . وأمامى الآن وأنا أكتب هذه السطور كتاب الحيوان للجاحظ فلا أستطيع أن أقرأ صفحة منه من غير أن أعثر فيها على عدة عثرات ، من نقص ، إلى تصحيف ، إلى زيادة حرف ، إلى لحن ، إلى ما شئت من كل ضروب الخطأ — مع أن فى مكاتب العالم نسخا يمكن بموازنتها اخراج نسخة أقرب إلى الضبط وأدنى إلى الكمال . ومثل كتاب الحيوان غيره من الكتب الأخرى يطول القول بتعدادها ، فنحن إذا عددنا الكتب الصحيحة أو القريبة من الصحة سهل علينا عدها ، وإذا عددنا السيئة المغلوطة أعيانا العد ، وقد أعرنا بعض العناية لكتب الحديث كالبخارى ومسلم ، وكتب اللغة كالقاموس واللسان . فأما غير هذين النوعين فقد كان مجال الخطأ فيه فسيحاً وفى ميدانه متسع للجميع

وقد سبقنا المستشرقون فى النشر وطرقه بمراحل ووضعوا له قواعد وأصولا ؛ ولست أنسى المحاضرات القيمة التى ألقاها فى سنة المرحوم « برجستراسر » فى كلية الآداب بالجامعة المصرية فى كيفية معارضة النسخ القديمة بعضها ببعض وكيفية النشر وما يجوز للناشر وما لا يجوز ... الخ

وكان كثير من الكتب التى أخرجها المستشرقون مثالا صالحاً ، لأنهم يعدون نشر الكتاب من الناحية العلمية لا يقل قيمة عن التأليف ، فالعالم كما يعد من مفاخره أنه ألف كتاباً ، يعد من مفاخره كذلك أنه نشر كتاباً ؛ وكما لا يضن بجهده ووقته فيما ألف ، لا يضن بهما فى ما ينشر . ومن الأوليات عندهم أن يجمعوا كل النسخ من الكتاب الذى يريدون نشره من مكاتب العالم ما استطاعوا ، ويصرفوا الزمن الطويل فى مقابلة بعضها ببعض والتعليق عليها وضبط أعلامها وغريبها ، ولا يألوا جهداً فى إيضاح الغامض وتبيين المشكل ، ووضع الفهارس للأعلام والبلدان وما إلى ذلك . فلا عجب أن يصرف الأستاذ « ريت » عشر سنوات فى تصحيح كتاب الكامل للمبرد ونشره لأول مرة ؛ وفضله وجهده ظاهران فى الطبعات المصرية التى نشرت بعد ، حتى سهل على العالم أن يدفع الثمن الغالى لكتاب طبع طبعة أوربية ولا يدفع الثمن البخس فى طبعة له مصرية . إن شئت فوازن بين كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة المطبوع فى أوربا والمطبوع فى مصر ، فهو فى مصر ناقص أكثر من نصفه ، ومحرف تحريفاً شنيعاً ، وهو فى أوربا كامل مضبوط صحيح بقدر الامكان

ومما نغتبط له أن نرى من أهل اللغة العربية أنفسهم من حذا حذو المستشرقين فى نشر الكتب ، بل فاق بعضهم أحياناً ، فبذل الجهد فى التصحيح والتعليق ومعارضة النسخ وعمل الفهارس ،

* هذا الكتاب يقع فى ثلاثة أجزاء وستصدره لجنة التأليف والترجمة والنشر فى ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦

وعقد ظريفة حسنة نرجو أن تستمر وترقى. فرأينا مثلاً من ذلك فيما تنشره دار الكتب من كتاب الأغاني ونهاية الأرب وغيرهما، وفيما تنشره لجنة التأليف من كتاب السلوك للمقريزي.

ولعل من أجل الأعمال في هذا الباب ما قدمه صديقنا الأستاذ عبد العزيز الميمني في نشر كتاب اللآلي في شرح أمالي القالي للوزير أبي عبيد البكري، فقد اختار كتاباً لنشره فأحسن الاختيار، لأن كتاب الأمالي عدّ — من قديم — أصلاً من أصول الأدب التي اعتمد عليها الأدباء في العصور المختلفة إلى الآن، وقد كان البذرة الأدبية الأولى التي بذرها أبو علي في بلاد الأندلس من علوم الشرق فنمت وأثمرت ونضجت وآتت أكلها كل حين بإذن ربها. وقد كانت أماليه المدرسة التي تخرج عليها مشهورو الأدباء في الأندلس ولقيت منهم من العناية ما هي جديرة بها. وكان للأمالي طابع خاص غير الطابع الذي غلب على أمثالها من كتب الأدب كالبيان والتبيين للجاحظ، والكامل للمبرد؛ فكتاب البيان والتبيين طابعه مختار من الأدب صبغ بصبغة الجاحظ من ميل للاستطراد الكثير وتحدث في الشؤون الاجتماعية، واقتباس من الثقافات الأجنبية، كالثقافة الفارسية والهندية واليونانية، وميل إلى الفكاهة والإحماض؛ وكتاب الكامل غلبت عليه طبيعة المبرد من ميل إلى النحو والصرف، لأن المبرد كان أديباً نحوياً فأحسن ما يعجبه من الأدب ما استطاع أن يخرج منه إلى مسألة نحوية أو صرفية، ثم يطيل النفس في ذلك حتى كان الكتاب كتاب نحو؛ وهو لا يستطرد في الشؤون الاجتماعية كما يفعل الجاحظ، ولكنه يمثل الثقافة العربية مصبوغة بالصبغة البصرية؛ فالجاحظ يمثل المتكلمين من سعة الاطلاع وتشقيق الموضوع، والمبرد يمثل النحويين الأدباء من تشقيق اللفظ وتخريجه وإعرابه واستعراض معاني الكلمات في أوضاعها المختلفة.

أما القالي فقد غلب عليه الأدب واللغة أكثر من غلبة النحو والحديث؛ وأكثر ما ألف في اللغة والأدب، فقد ألف البارع في اللغة، وشرح المعلقات، وكتب في الإبل ونتاجها، والخيل وشياتها الخ. فثقافته ثقافة عربية بحتة؛ ثم هو ليس عربياً كالجاحظ والمبرد بل هو مولى الأمويين؛ كان جده سلمان مولى لعبد الملك بن مروان، ولعل هذا ما حدا به إلى أن يرحل من الشرق إلى دولة مواليه الأمويين في الأندلس؛ وهذا يميزه من الجاحظ والمبرد بأن عقله كان عقل حفظ وجمع ورواية لا تعتمد على السليقة كما يعتمدان. فهو إذا أراد أن يخطب أرتج عليه، ولكنه في درسه واسع العلم غزير الرواية، وكان كتابه الأمالي مظهراً لذلك، ينقل القطعة المختارة من العرب في شعرهم ونثرهم وحكمهم وخطبهم ووصاياهم — وأكثر ما ينقل من أستاذه أبي بكر بن دريد — ثم يتبع ذلك بتفسيره لما ورد في القطعة الأدبية من ألفاظ لغوية، ويشتق الكلمة المفردة ويبين معانيها، وكثيراً ما يستشهد على معنى الكلمة ببيت من شعر قديم أو مثل سائر أو نحو ذلك

وكتابه يمتاز بأنه يروي كثيراً من القصص العربية الأدبية، وهي نزعة أتت له من ابن دريد، فقد كان على ما يظهر محباً لهذا النوع من القصص اللطيف. فأكثر ما يرويه القالي في أماليه من هذا القبيل: كأعرابيات يصفن آباءهن، ومحاورة الفرزدق مع بعض الأعراب، ووصف أعرابي الدنيا وقد سئل عنها، ووصايا رجل لبنيه، وامرأة لبناتها الخ؛ فالأمالي ليست جافة جفاف «الكامل»، ولا أدباً بحتاً كأدب «الكامل»، إنما هو أدب فرش له فرش جميل وأعد له إعداد أنيق. لم يجرد فيه الظريف من ظرفه، ولم تسلب فيه الحسناء حليها؛ وقلّ أن يتعرض فيه للنحو والصرف التعليمي كما يفعل المبرد، ولا للاستطراد اللطيف الروح كما يفعل الجاحظ. إنما نفحة روح الأمالي من نمط آخر غير نمط البيان والتبيين، نمط فيه التاريخ والقصص والأساطير أحياناً ممزوجة بالأدب، ثم تفسير لما ورد فيها من غريب اللغة

ولكن أخذ عليه بعض أشياء في تأليفه، فجاء أحد مواطنيه وهو أبو عبيد البكري الأندلسي أمير لبلة وصاحب جزيرة شلطيش، فأراد أن يخدم الأمالي بتكميل نقصها، وتحلية عاطلها، فألف في ذلك «كتاب اللآلي في شرح أمالي القالي» وأجمل غرضه فيما قدم بين يدي كتابه فقال: «هذا كتاب شرحت فيه من النوادر التي أملاها أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي ما أغفل، وبينت من معاني منظومها ومنثورها ما أشكل، ووصلت من شواهدها وسائر أشعارها ما قطع، ونسبت من ذلك إلى قائليه ما أهمل... وذكرت اختلاف الروايات فيما نقله وذكر صحيح

ناقد ، ونبهت على ما وهم فيه تنبيه منصف لا متعسف ولا معاند ، محتج على جميع ذلك بالدليل والشاهد ، والمستعان الله »

ثم جاء الأستاذ عبد العزيز الميمني الهندي أستاذ اللغة العربية بجامعة عليكره فقام في هذا الكتاب مقاما يستحق الاعجاب حقا ، ويستحق التقدير حقا ، وقد دلنا منه على علم غزير واطلاع واسع وإن لم يكن ذلك خافياً علينا من قبل

فقد أخرج كتاب « اللآلى في شرح أمالي القالي » اخراجاً علميا على النمط الذي ننشده ، فعارض بين نسخه الخطانة من مكية وألمانية ؛ وبذل أقصى الجهد في تصحيحها ، ولاقى عرق القربة في ضبط أعلامها وبلدانها وأشعارها وغريبها ، ووقف في كثير من المواضع موقف الحكم بين أبي علي وأبي عبيد ، ينتصر لهذا حيناً وذاك حيناً بالدليل والبرهان ؛ ورأى أن أبا عبيد البكري اقتصر في شرحه ونقده على كتاب الامالي دون الذيل فوقف الميمني موقف البكري في ذلك ، وشرح الذيل ونقده — وراجع في كل ذلك مئات من أمهات الكتب . وسيعجب القارئ كيف وقف على الأبيات المختلفة المنتثرة في هذه الكتب العديدة وعرف مواضعها ، ووفق إلى استخدامها ، ثم ختم ذلك بتصحيح أغلاط وضبط روايات ، وتقييد زيادات ، لكتاب الأمالي وذيله المطبوع في مطبعة دار الكتب ، فأوفى في ذلك كله على الغاية

ومنطقه في أحكامه على القالي والبكري منطق صحيح غالباً ، وإن أخذ عليه شيء فاستعماله أحياناً عبارات قاسية في النقد مثل « أغلاط مستنكرة » و « متناهية في الاستبشاع » ونحو ذلك مما كنا نود أن يرفق فيه قلمه

وعلى كل حال فقد أسدى « الميمني » إلى اللغة العربية خدمة لا تنكر ، وقدم مثلا للنشر يجب أن يحتذى

وكان من فضل كتابه أنه « عصبة أمم » في كتاب ، فأبو علي القالي شرقي استوطن قرطبة ، والبكري أندلسي الأصل والنشأة ، و « الميمني » هندي ، ولجنة التأليف ناشرة الكتاب مصرية . فأنعم بهذه الرابطة بين القديم والحديث ، وبين المحدثين في أوطانهم المتنائية وأرواحهم المتقاربة !

أحمد أمين